سيدة القمر

الدكتور
محمد ثامر

أربع ينسلن من وحي الآلهة
ليمتن معي
ليمتن بين جدراني وخديعتهن
ومكرهن الإنوثي الجبار
كيف فلتن من الآلهة ؟
كيف اجتزن أخر مقابر الملوك
؟
.كيف تخطين أبواب المعبد ؟
وعيون نساء القصر ..
وأتيننني .. يحملن ورداً دسسنه
بين أصابعهن.. فتاه
لا يمكن لأحد غيري أن يتلمس
هذا الورد ..
لا يمكن لأحد غيري أن يسمع
منهن تراتيل حبهن

أنهـــــن مغرمـــــات بوحـــــي
عيونـــــــي..... باســـــــتنفار
همي ..... كتبن جميعاً لي .
((إن أحلى ما فيك عيناكَ))
وكتبت لهن جميعاً ..
((أنتن أحلى نسائي))

السيدة الأولى : أرغيدا

أظلُّ أسود فاحم كما كان .....أم تغير ..... شعرك يا أسطورة القلب .....شعرك يا سيدة الروح ..؟
لم ترد ..... ألهت نفسها بعبارات ....تعداها النص ..... فأستدرك ...!
ـ أظل فاحم كما ليلي..... كما مسائي اليتيم في مدن النخيل ..؟
لم ترد ..!
ـ أرغيدا ..... لا تستثني أي سؤال ..
رُدّي
ـ نعم اسود مثل أول مرة ..... اسود منهمر ..... طائش لا مبالي اسود كما هو ..... دون

أن يعبأ بالفجر الذي تسلق غيره .
ـــ أظل شاخصا ..... المرة الأولى التي أرى فيها سواداً جنونيا يشخص بلا انحناء بلا استصداء ..... أين منديلك الذي يقطع أحمر الشفاه إذا استطال ..... أين كأسك الذي ألف طعم شفاهك و مارس معها بوحا رطبا ..... أريد شيئا لك وحدك ..... لا يشاركك فيه احد ..... استقصى عنه حقيبتك هذه الملقاة على مقربة مني ..... حاولي ..... أهذا الكأس لك ..... من أي زاوية فيه تتخضبين الشاي أو تحتسين حليبك المعتق هذا ...؟

****

قبل أن يبدأ الصبح ..... كانت ارغيدا ..... تقف على شوارع أربعة تلتقي ..... سألها ..... لم يكن تاريخا بينهما قد نضج .....

ـ ماذا تفعلين ....؟
ـ أومأت برأسها ..... كان ردا فضوليا من بيضاء متطرفة البياض ..... استباحت تنورتها السوداء أخر معاقل أقدامها فتآخت معها .... رقصا داهمًا .....كانت تنورتها و هي تقطع الممرات المتسعة تراوح بين الرقص و الغناء .....
آرغيدا لم تدنسها الآلهة .... بل اصطفتها من جوف مهمل لتقعدها مكانها ألأنيق .... وحدها ..... تجمع أشياءها حولها ..... أشياءها مثلها مدللة متكبرة ..... تغرق في المكان ..... الكرسي ازرق منتصب شُد بإحكام إلى طاولة مثل لونه مستلقية ..... ثم حقيبتها الجوزية ..... جلد توعده نقشا ....بوخز أبوي فانتشى ....و أحكم أشياء آرغيدا مقتنياتها العذبة ..... نفائسها

- كيف تتركين حقيبتك مقعدة على مقربة مني وهي حبلى بالنفائس ..... وأنا رجل معوز .....لص قديم ؟
- أفرغتها ..... وقبل ذلك أحصيتها كي لا أتركك تجوب بطونها الخاوية !
- يتهددني بياضك هذا بالزوال ..... هل لك تصوير حديث ؟..... تصوير بشعرك ألاسطوري الذي يفضي بي إلى مجهلتي تصوير يبقيك دائماً أمامي ؟
قبل سنة كانت ثمة صورة تجمعنا ..... أنت صممتها ..... قفي هنا .....ابتسمي ..... أعتلي هذه الربوة الفرعاء لكي يبسق نخيلك عاصفاً بلا هوادة .....ضعي .....مكيد اجاً بنفسجياً ينحدر من جنح حجابك إلى أعمق نقطة في الشفتين إلى تلال خالدة تتوسط ساحة مرشقة أسفل

العينين ..... ثم إلى ظلال مبعثرة .....فأين وضعتها ؟
- في درج المكتب .....ما أن يبتدئ صبح جديد حتى تلتف عيناي ..... الصورة وسط كتاب مغلق تنتظرني .
- هل يراها أحد غيرك !؟
- لا أسمح لأحد .....أن يبتز أرغيدا غيري ..... أنا أبتزها .....أتراجع .....أسترخي استسلم ..... لا أدري ما الذي يسوقني الى طيفها المنعزل .....قبوتها التاريخية الى سيرة صوتها الحادة تعصف بسكون الممر الوحيد ثم ونادر اً ضحكتها المتطفلة مع صديقتها حصراً ومعي إذا ..... استبد بي خلاصي .
- ليس لي أي تصوير حديث أو حتى قديم غير تصويري معك .

- أذن أي شيء أخر ..... قدحك هذا ؟
- لا..... تستخدمه وفاء معي .
- منديلك ؟
- لا .....يستخدم مناصفة بيني وبين الغرفة المجاورة !
- لا ..... أريد شيئاً فيه عطرك..... فيه دفئك..... فيه خلاصة تجربتي معك .....شيئاً إذا استحضرته فاحت منه روحك بلا انقطاع ..... غزتني منه عيناك بلا استثناء ..... أريد شيئاً منك يجعلني لا أبحث ألا عنك .
- ما عدت تأوي إلى هنا ..... أين أمضيت صيفك المدجج بالنساء ؟
أسرد كل الذي في ولا أستطيب جملاً ألا منها ..... أشعر أن احرفها رسمت على شفاهها على وهج عيونها قبل أن تنبثق من سبات روحها ..... وأتلذذ

كثيراً وهي تنطق أسمي بأحرف مجردة بلا عناوين مستوحشة تبعد عنه أن يستبد أو ينكفئ عن معاشر النساء .

دعت صديقتها في الغرفة المجاورة أن تكون حكماً بيننا .....فامتنعت ....ترددت .....فنهضت تستعجلها .....نهضت أرغيدا .....يكفي ما أنت فيه كي لا تنهضي كي لا تطيح استقامتك ..... طولك المنفرد بنطلونك الذي يعزف وحده ..... بما تبقى من جلدي .....من بؤسي المحدق بالا لاف النساء .....ما أحسبها نهضت ألا لتريني ..... أخر أباطرة الروم .....أخر سيدات العالم الغانمات الراقصات ..... المتوجات بسفح الأساطير نهضت ثم أخلت مكانها .....فما خلى .....بل ظل مستبقياً على

نفسي ..... على
تمردي .....على لحني
المشدود من ألف
عام .....من أوج
الحقيقة .....حقيقة أني لا
أبارح أي شبر فيها أي استرداد
لها ألا إذا أمرتني
عيناها .....أو صرح سكونها
وهي ترد التحية بألق طفولي
يدعوني أن أبقى هاهنا .بلا
انتظار .....كرم أن تصفح
عني .....كرم أن تجلسني
قبالة عينيها .....قبالة
ابتسامتها
الحانية .....ثم كرم أن
استجم بحديثها .....بحلاوتها
المفرطة .....بعالمها
الذي لا يشبه أي أنثى في نصف
البشرية الأخر .
- لم تجبني ..... أين
كنتْ .....شهر
مضى ..... لم
تتصل .....لم تجئ ؟

- كنتُ في مدن النساء .....في بلاد الفرس .....جبال تبيض جليد ونساء .....نساء بلون الجليد .....مدن تتكاثر فيها النساء .....تتلون فيها النساء .....سحب من نساء .....قمر من نساء .....وورود تخرج من فم النساء ونساء تبتلع الورد .....هناك كن ما تكون لن تفصل بين وردة فارسية ..... نجمة فارسية وامرأة .
- كنت هناك إذاً ؟
- لم أكن .....قولي ضعت ..... قولي غلبتني النساء على أمري .....قولي تاجرت بلحيتي .....لا تقولي كنت .
- أما تعلم ضجري من بلاد الفرس ؟
- من حقك أن تضجري .....من زحف الرومان .....قرع الأغر

يق قوانين الحب ..... وهن العثمان أمام الإفرنج وعشق الفرس للدنانير ..... تعتقدين أنهم يكرهون العرب ..... وليكن فالعرب يكرهون أيضاً .....لا تضجري من نساء الفرس ..... النساء هناك عالم أخر .....عالم يدين بالجمال .....يعتنق مذهباً كن أجمل شيء في الكون أولا تكون .

- هل زرت قصر الشاه ؟

- في سعد أباد .....شيئان مستوحشان ..... القصر والملكة ..... غرفة نوم ملكية .....أزار ملكي..... سرير ملكي .....ثم .....ثم ..... ثم فرح..... وحدها .....لا أميرات يسكبن الحب على أذانها ولا شاه يقبل أقدامها أول ما

تفيـــق .....فـــرح.....
وحـدها .... تـرفض أن تـرمقـهـا
نساء العرب القادمات من وحي
الجزيرة ..... قفر الجزيرة
تـرفض أن تطـل عليهـا النسـاء
ولطالمـا أذنـت لـنفسـها أن لا
تحتكـــــــــــــــــــــــم ألا
لمثيلاتها ..... في القصر
الأول ..... رافقتني فارسية
مدللـــة .....أربعينيـــة
أجهـــــــــض المكيـــــــــاج
ملامحها .....فلم يبقى منها
ألا عينان غارقتان ببحر من كحل
مكتظ .....وشعر بان ثلثاه
تمـــــرد علـــــى حجـــــاب
رشيق .....سألتني .....أن
نمضي قدماً .....أن لا نقطع
وقتاً أطول .....سألتني أن
نســـــــــــــرع .....أن
نســـرع .....ثـــم أخـــذت
تبكي ..... تجهش ..... ينسل
الـــدمع الأســـود مـــن نبـــع
العينين .....يتخطى مساحات
مترعـة الألـوان ..... أخـذت

تمضي تدعوني أن أتبعها .....لكني ..... أبداً لم أسألها ما يبكيها ؟
- أرغيدا ..... هل تبكي النساء على بعضهن ..... هل تبكي الوصيفات أميراتهن والأميرات لا يبكين أحداً ..... هل تستمتع امرأة أن تبكي امرأة أخرى ..... امرأة أخرى لا تعرفها .....لماذا تعقدينها تبكي
- أحسبها تبكي زمناً ولى .....زمناً كانت فيه مثل فرح ..... ملكة..... أنثى !
- وأنت أرغيدا ..... هل تبكين زمن الأنثى .....أم تبتسمين ..... تقفلين ولا تعبئين .....تكتمين .
ـــ اتعرف ..... قبل هذا اللقاء .. كنت اتوق اليك ..... بل قبل كل اللقأت وكل الاحاديث ..... كنت اسمع

منك ..... اتهجئ حروفك
وانتظر ..... انتظر ان تسرد
لي وحدي حكايتي ان تكتب لي
كما كنت تكتب عن أي سيدة
اخرى ..... مرة قرأ ت
لك.....في صحيفة الاعلام .....
اعتقد ان ثمة مسابقة اعدتها
الصحيفة حشدت فيها كل ما لديك
من هوس بالنساء وكتبت " عسل
ودفء" .....لازالت قصاصاتها
في حقيبتي ولازلت اردد دائما
مقاطع منها ".....واخيرا نام
القمر في احضاني .....نم قبل
ان تأتيك الشمس فترحل .....
او يدركك الصبح
فتنسى ..... أمراة رطبة بوحا
بهدوء لا يدركه الا بوحا
مثله ..... سيدة كل ما فيها
اجمل من كلها اجمل من كل
حكاياتي مع كل
النساء .....دافئة .....مستفيضة.....هادئة ..... حتى
اذا استنفرتها بدى بركانها ثم
بدأ ..... وبدأ..... اين

سينتهي بي المطاف اين سيطول بي المقام ..... شفتان دافئتان ..... هل جربت الدفء مع سيدة مقبلة هكذا ترمي اشلائها معطفها عينيها وقبل ذلك لسانها ..... سيدة تغرس فيك شيء منها عسلا مثلا أو دفء....."
انها المرة الاولى التي اسمع فيها عن رجل يصف امرأة بانها بركان..... يصف غرس لسانها بانه عسل او دفء.

ـ هل كانت دافئة فعلا....
ـ حد الدفء ..... اقول لك شيئا..... المراة التي تدمن رائحة الرجال لابد ان تكون دافئة ..... وهي مطلّقة .... هجرها طلُيقها بعد ان افلس من دفئها.. وبدى له انه سينفض بين جمع الرجال.....فاثر ان لاينعم بالدفء ..... وأثرت ان تجرب برد غيره .

ـ هل جربت دفئها..... او كما تقول.... "نعمت بدفئها"
ـــ فلتعلمي .....ان هوسي بالنساء لايجذبه الدفء اعترف ان اللحظة الاولى التي جمعتني بها كانت بداية ..... بداية الشغف .....نهداها الممتلأن.....نهاياتها اللدنة .....سمارها الذي يؤذن بالريح ان تخلد وبالعيون ان تستانف الكلمات لكنني ادركت انني امام امراة مختلفة لايتعدى قاموسها غرائزها لتنحت بالكلمات بوح الضلوع بلا استثناء فتقول كل ما تتمنى وتعرض عليك كل ما تشتهي ..... وتبرر .....وتعطي نفسها حجة عليك....لانها كانت بادية ..وانت مستتر ..وان هناك اخريات مثلها يلعقن شهوتهن بالزيف والاختباء.
ـ كم امضيت معها ؟
ـايام معدودة.
ـ ثم انسحبت ؟

ـــ كلا.....تلاشت .... انطوى سحرها فجأة .. مثلما اطلُ..... المراة التي تحكم دك الاسوار وتسفك القيود عن كثب وتوغل في الاعماق....سرعان ما تنكفأ وتعتقلها النساء .... كنت اعتقد وانا اسرف البوح لها... انها لي وحدي ... ولكنها فاجأتني.. اطلعتني عن هرم من اسماء ودقائق من تفاصيل دون ان تذكر عنوان.....

ـ ثم ماذا ؟

ـــ ثم ايقنت حقيقة مفرطة .....كلما تخطيت مسافاتي معها ... كلما اعلنت نفوري منها.....بل اشمئزازي

ـــ هكذا تبدأ مع كل النساء .." هوس.. ثم نفور.. ثم اشمئزاز"..!

ـ الا انت.

ـ ارغيدا ليس في وسط الارض أمرأة تشبهكي...امراة تعطيني مثلما اعطيتيني او تحجب عني

ما تحجبين..... المرأة الوحيدة التي كانت تشبهك صادفتها في فندق الاميرات ..في بي خال....تشبهكي حد الثمالة.... حتى عقدة الحجاب دورته من جهة العنق..... اطراء الالوان .....كانت تشبهكي ... حاولت ان اقترب لكنها امتنعت.....كانت متزوجة من رجل هرم مفتون بها..... مترع الكسل ترامت اطرافه رغم انفه لكنه ألفها بتذلل اماط عن كل خباياه..... ومضت تقفز فوق كل قبابه وهو لايكترث بلحيته التي انتهكها الشيب ... بشبابه الازف... لايكترث..... لايكترث .. .. هذه هي المرة الوحيدة التي امكث فيها مع امراة تشبهكي تحت سقف معبأ الاضواء وان تفاوتت ارقام الحجرات وتكاثرت الحواجز ...لكنه سقف واحد..... ما غادرت الصالة وهي جالسة فيها .....حتى

ازعجت الحاضرين .....كنت اتلذذ بالنظر لها علًها تعيدك لي .....عل كل هذه النظرات تسفر عنك.
ـ ليست هذه المرة الوحيدة التي اقرا فيها شعرا لك .... الم اقل لك اني مغرمة بشعرك ولكنه هذه المرة شعرا مختلف .....شعرا عن الفارسيات .
ـ اعرف ما تقصدين " شيرين حسين رمضاني "
ـ نعم بالضبط .....بالتحديد "شيرين حسين رمضاني "
ـ وسط طهران حيث ينتصف الليل او يزيد .....ووسط سطوة الليل الملبد بانتظار الفجر الزاحف نحو زحزحت القيود .....وقبل ان تغلق الجنة ابوابها .. وينشد القمر الافول ..... جأت شيرين ...قطعت شارع منهمر... وسبيل مترادف ..واطلت .....اباحت للنجم القادم من اقصى الافق ان

يتدنى استوقفت أمد التاريخ
وتجلت .....سيدة في افق الليل
تضيء ..... سيدة تبحر
فيك ..... تألف فيك
نهاياتها.....سيدة تستجمع
اقصى ما فيك وتبدأ..... ما
كانت سيدة تمشي بل كانت قمرا
يستوقف ضوء الشمس..
وينير ..... حتى أنعطفت ...
أنعطفت.....اه لو يستدرجها
الشارع نحوي.....اه لو
تطوي الاف الاميال
وتأتيني.....اه لو ان الليل
يطول ويقتلع الفجر
انيني ..... انعطفت .... اقبل
ت ..... فلتت من ازقة الورد
من سنن الانتظام..... زحفت
نحوي ..... يا حلل الفجر
القادم من مدارات
الظلام..... ياسبل البوح
المنتشي..... استدركتها
بالنظرات كانت تمشي وانا اقف
لكن المكان تبدد والقادمون
تشتتوا... ولم يبق الا

شيرين.....الا شيرين حسين رمضاني..... مزهرة وسط حقل الاقحوان لم تتردد يوما في ان تفصح عني.... تفضحني حيث اقف .....بلا انتهاء....شيرين تتقدم.....فاستعد....لكنه قدوم منتهي فسرعان ماتتخطاني.....تتجاوزني..... .وهي منغمسة في ادنى الهمس ..... بدى الميكرفون كما اقراط من نضار تتلألأ في ادنى الاذنين..... في ادنى الهمس كانت تناغم صوت ما.....ربما محض موسيقى..... ربما محض موسيقى ..... ربما محض رجل .....شيئا ما كان يتبادل معها الهمس والنعي والكبرياء .....تخطتني لكنها ما ان اقتربت مني حتى بادرتها كل انتظاري لها.....دون ان تعبأ .. تخطتني... اه..... لو يقف القمر على اعتاب انوثتها

ويفنى .....أه لو انها تسمع مني .... تسمعني..... تخطتني..... بدى لي ان لا اراها بعد هذا المساء .....لكنها انحدرت.... وقفت.... دققت في اسم الفندق "فردوسي".. اخرجت من حقيبتها كارت صغير منقوش فيه اسم الشارع "ولي عصر" اسم الفندق " هتيل فردوسي"
رقم المبنى 222 دخلت في ذات الفندق .....في البوابة.....وقفت استفسرت .
ـ اريد مدير الفندق !
ـ تفضلي خانم .
ـ انا شيرين حسين رمضاني !
ـ شيرين خانم..... الغرفة 109 دعي حقائبكي هنا سيوصلها صادقي.
ـ ميرسي.
ـ ياحجي عباس اين ستمكث اميرتي هذه .... اين استودعت قلبي.... اين سينتهي به المطاف.

ـ من ؟
ـ الخانم التي دخلت الان.
ـ ها شيرين حسين رمضاني..!في الغرفة "109" "نوه وسات "
ـماذا تعمل ؟ هل هي متزوجة ؟ طهرانية ام اصفهانية ؟
ـ طهرانية .
ـ من شمال طهران .... من جنوبها ؟
ـــ من شمالها..... مهندسة سيارات ..... افترقت عن ابيها فأثرت النزول في الفندق..... تغادر الفندق الساعة الخامسة فجرا وتعود في الساعة الثالثة ظهرا ..... لذلك لايمكن لك ان تراها او تلتقي بها او تسرها امرك.....
ـــ الخامسة فجرا .....أو الثالثة ظهرا .....أو الثانية عشرة ليلا.
ـــــــالثانية عشر ليلا .....لا..... انما تتناول

عشائها في المطعم المجاور أو تذهب الى دربند.
ـ يا حاج عباس .....قل لها ان عراقيا اكل الدهر عليه وشرب
ينتظرك هنا.
قل لها ان عراقيا كسول لم يسعفه الفجر ليصطحب النور اليك.. قل لها اني هنا !
ـــ لا يمكن لرجل مثلي بلغ الستين ان يطلع عراقيا مثلك على اسرار زبائنه.
ما ان اندلع الفجر حتى استفاق ..... استفاق ليرى..... لكنه اخفق..... لم يرها.....ربما غادرت قبل قليل..... ربما هرعت لباصها المحموم .....سانتظر حتى ينتصف النهار ..... حتى تجيء الثالثة .. وأرى.
في الثالثة.....اغلق التلفاز..... محى السطور ....هجر الورق...اوقف البث.. وجعل

يـــــرنـو ..... الـبـوابـــــة فـارغة..... والـعطر لـم يـستبق الـبـــاب.....لـيـــس هنـــاك أمرأة..... مضت بـعد الـثـالـثة عشـرون دقـيقـة..... ثـلاثـــون.. واربـعون .....حلت الـرابعة ولـم تـقبُل شيـريـن..... تـرك الـبوابة واســـتلقى فـــي الـغرفـــة الـمجـاورة..... يـتحسـس وقـع الاقـدام.....حتى اذا رنت مثلما تـــرن اقـــدامـهـا.....هـرع الـــى الـسلُم.....لا لـيست هي!

ـــ يـــا حـــاج عبـــاس الـــم تـقـل انـهـا .....تـغادر في الـخامسة وتـجـيء فـــي الـثـالـثـة..... انـــا هنـــا منـــذ الـخامسة ولـم تـغادر وانـا هنا منذ الـثـالـثة ولـم تـجيء .

ـــ ...بـلـــي.....غـــادرت قـبـلـك بـقـلـيـــل ..... وعـــادت فـــي الـثـالـثة ....لـكنك لم تـرهـا.

حـتى اذا حـل الـمسـاء ودنـــت الـتـاسعة اسفـر الـقـمر مداره وجـــاءت شـــيـريـن.....مـترعـــة

بالدلال ..... مترعة بالانوثة والكبرياء .... جاءت .... جلست منفردة في صالة الفندق ..... كما وردة حظيت بكل الربيع ..... وجلست' ارنو اليها بشغف منقطع..... اوعزت لنادل الفندق.....

ـ صادقي.

ـ نعم خانم

ـ اجلب لي بيتزا وشراب الشعير.

ـ كم نفر؟

ـ يك نفر

ـ رقم الغرفة

ـ 109 (نوه وسات)

ثم ارتقت سلّمها.....حتى استدركتها الصالة من حيث تنعطف فأومات' لها ..... اسرفت' النظر .....لكنها لم تعبأ.....حاولت ان اشعرها انني هنا منذ الخامسة انتظر دورة القمر لكنها كانت غارقة في حلم الموسيقى التي تتجنى

على اذنيها..... اتظنها ..حقا لاتشعر بي لا تلحظ أيمائتي ....ووحيُي..... ارتقت سلّمها نحو الغرفة..... ولجت حيطانها الاربع الباسقات ونافذة متموجة تستغرق كل الركن ....فتحتها واضأت نورها الخارجي ثم تناولت الهاتف.

ـ اين صادقي؟ لماذا تأخر؟

ـ ياحاج عباس أتركني أرد على هاتفها ..... البيً طلبها .... ادفع فاتورة الاطعام ..... أشاركها ماء قلبي قبل ماء الشعير .

رفض المدير طلبي ..وتوسلاتي.. وعرضي المغري.. وشراب قلبي واثر ان يخدعني.. ان يضللني.. بأي الكلام باي الفهمٍ بأي احاديث اخرى لم يجلبها الورق ولم تكتب في الاسانيد .....

حاولت ان أهدد بالورق... بالدنانير.. بالحجارة.. لكنه رفض ..... المرة الاولى التي

اشاهد فبها فارسيا يرفع هوسه بالدنانبر الى الاحجام .....لا بد ان اتجاوزه اذن .. لابد ان اصل هكذا مباشرة اليها ...مباشرة دون الحاج عباس.... ودون صادقي... ودون كل الابواب .....

الليلة سأتسلل اليها من باب الغرفة الموصد .. من نافذتها المتموجة.. من سماعة هاتفها .. من هذا اللاقط في اقصى الاذنين... الليلة سوف اذوب وسط شراب الشعير .....عجين البيتزا ....قطعيني..... انحر ي تجربتي مع كل النساء في محراب مصيبتي معك ..... هيا تشجع .....اطرق الباب .....قل لها ....صدقك كله.....وتاريخك كله.... وانتهائك حيث تقف في الغرفة 109.... حيث تقيم امراة مثل الجبل .....قل لها .....لكنك لا تتقن الفارسية .....قل لها بكل

اللغـــــــــــــــــــــــــــات
بالانكليزي .....بالعربي.....
. بالايمـــــــــاء .... بلغـــــــة
العيـــــــون .....ســـــــتجدها
صاغية...او اتبعها حيث تمضي
مســـــــائها ..... مســـــــالك
لاتنتهي..... وسط زحف الخيول
وزحف النساء.
لكـــــن شـــــيرين اكتفـــــت ذاك
المســـــاء .....لـــــم تطلـــــب
شيئا ....لم تخترق حاجز الصمت
المعبأ في دواوين الفندق.....
لم ينحدر عطرها شلالا صاخبا
عابثا بكل الفراغات .
ـ حاج عباس اين شيرين ؟
ـــــ شـــــيرين حســـــين رمضـــــاني
؟.....الغرفة 109..؟
ـــــــــنعم ....واي شـــــــــيرين
غيرهـــــا ...واي غرفـــــة غـــــير
غرفتها.
ـ غادرت الفندق ..... اصطلحت
مـــع ابيهـــا ... وأقلُهـــا الـــى
دربند .
ـ الى حيث لا تراني .

ـ نعم!!!
ـ هل نظف صادقي غرفتها ؟
ـ لا.
ـ اسمح لي بالمفتاح كي ارى اطلالها..... كيف كانت تقيم .....كيف تحتسي ماء الشعير ..بقايا البيتزا المنحوتة على طاولة الطعام... كي اشم رائحتها.
ـ ما ان دخلت الغرفة ....حتي فاجئني عطرها دلني على ترنيمة حزنا معلقة منذ الاف السنين.....ان النساء تهاجر وان الرجال باقون .....هنا كانت مستلقية استنجدت بطاولة رصفتها
قرب سريرها كي تسرح اقدامها ..... وهنا اكداس من قناني ماء الشعير استنفذت اخر قطراتها .....
ـ صادقي لا تمحو اثار القمر المكنون وسط رخام امرأة .... صادقي اترك

اثارها ..... واغلق النافذة كي لايتبدد ريحها أو تسعمره امراة أخرى.....
ـ هذه حكايتي مع شيرين حسين رمضاني الفارسية.

- أرغيدا ..... أمس أخبرتني موظفة الملفات أنك تبحثين عن ملفتي ..... تقول أنك طلبتيها أكثر من مرة تمعنتيها فحصاً .
- أرغيدا ..... تنشدين شيئاً ما ..... عقد زواج ..... اسم الزوجة ..... بطاقتها الشخصية .....صورتها ..... .أي معلومات اخرى .
- أرغيدا لستُ متزوجا .....خلت أسرتي من النساء .....بالتحديد في 18/ 9 تركتني أخر نساء أسرتي .....كانت سمراء .....منفردة ..... .انتصبت كما نخلة في فم

الفرات تحاشاها النخل وابتعدت عنها النسوة ..... ودنوت وحدي ..... ولكنها وبعد دنو طويل سلمتني أوراقي ..... دفترها المطنب بفيض مشاعري ..... أتذكر أن أخر ما كتبته فيه قصيدة مطلعها ..... تحت هلال حجابها قمران ..... قالت أنها عقدت قرانها على تاجر من بغداد ..... وأنه سيقلها معه إلى حيث لا تراني من جديد .

- أرغيدا ..... ما بال النسوة يبعن مشاعر دافقة ..... إحساسا جما.... بسيل من دراهم صماء ..... دراهم تعرف أن تموت فقط .

- أرغيدا ..... لستِ مثلهن ..... أشعر أن ملائكة الأرض اجتازت أي سماء في الدنيا وأتتك ..... جللت

بـــــــــالورد كبريـــــــــــاءك
المترف .....وأذنت لي وحدي
أن أبـــــــــــدأ معـــــــــــك
رحلتي ..... رحلتي التي لا
تنتهـي .....مـا مـر صبح ألا
واســـــــــــــــــــــتقدمتني
عيناك ..... استقدمتني رغم
أنفي رغم تأريخي المستبد في
الذود عنك .....لأرى أي حلية
تريـدين اليـوم .....حليـة
تتلقف لون القميص لون الشال
حـــــتى ترنيمـــــــة صـــــبغ
الأظـافـر .....يـا لوحـةً أذن
الجمـــــــــال لهـــــــا أن
تستفيق .....يا دمية طلُيت
بماء الورد والحناء .....أين
سنخلد ..... فأنتِ لست مثل أي
امـرأة أخـرى .....لا يمكـن أن
أتخطـــاك لأعلـــق فـــي ســـيل
أخر .....في جوف لا يحملني إلا
لشواطئ امرأة أخرى .....لا
يمكن أن تبقين وأبقى أحيانـاً
يأخذني اليأس بعيداً أتصورك
ســـيدة تأخـــذني مـــن صـــلف

التيه .....قفر
التيه .....إلى بيتي تستوطن
معي
وحدتي .....تشردي .... رغبتي
في أن لا أبقى هكذا .....ولكن
خشيتي من أن أسيء
إليها .....من أن أكيل لها
شيئاً من بؤسي
المؤبد .....حزني المستشري
على طول تجربتي القادمة.....
يمنعني دائماً من أن ألمح لها
بأن تنظم .....بأن
تنتمي..... وقبل ذلك يمنعني
من أعرض عليها يأسي من أنها
قد لا تفتقد شيئاً أخر غير حبي
لها .....غير موتي
فيها ..... شيئاً
يدفعها .....أو
يرغمها .....أن
تنتظر ..... رغم ما
انتظرته .....وقد تنتظر
دون جدوى .

أرغيـــــــــــدا فليشـــــــــــهد
العـــالم ..... أنـــك امـــرأة
خالـدة .

السيدة الثانية

مآل

كان اسمها مآل ... مستبدة
الغموض .... رائعة
الصفح ... ساكنة سرعان ما
تثور ... خالدة مثل شمس
أور ..... مثل سنا
الحضارات ... مثل رحى الصمت
التي تلوك الأساطير .... مثل
طيف الآلهة.... مثل وجنتي شبعاد
متوردتين ... مثل عيني شبعاد
الداعيتين .. تدعواني الى زمن
لن ينتهي .... زمن ما كدت أفلت
منه .... حتى يعود الي ... الى
وجعي ... الى تبديد
قافيتي ... الى تحييد
ذاكرتي .... لكنني أبدا لن

استجيب .....لن أدع
الصمت ... يقلق
أوراقي .... أو.. يلتهم
قلمي .... سأتوقف ....لا بد
لهذا الغموض ... من صمت الهي
يوحي له ....أن لا شئ يستحق
البدء فكل ما أدركه ... إنني
وبدون ارتياب وبلا ذرة
إعجاب ... أحبها ... قد تكون
أخر زخات المطر في نيسان
عاطفتي .... أخر وردة تستذوقها
صباحاتي ... آخر الأنبياء على
صحيفتي ...و لكنني .... أحبها
أعتنق شيئا واحدا
فيها ... شيئا واحدا من كل
أشيائها ....من كل خرافات
عينيها .... من كل همسها
الطفولي ... من كل مرحها
المعتق .... شيئا واحدا
فقط ...أنني أحبها .

* * * * *

في الصبح إنا متأكد ... ليس
ثمة امرأة تشبهها ، هي

وحدها .....لا تشبه امرأة
أخرى ....لا تشبه لون
حجابها ...لا تشبه صمت
عينيها .... هي وحدها ...لا
تشبه امرأة أخرى .... هي سيدة
اللحظة ...سيدة الصبح ...سيدة
الصمت ما بين السلم
والقاعة ... سيدة الصمت الذي
يتكسر بابتسامتها
الممتلئة ....بابتسامتها التي
توحي لعينيَّ... بأن لا
يتجبرا ...بان يمضيا يقتفيان
الحب ما بين أمس أتى
عليه....وصبح جدده .....لا
تلهيك الابتسامة ....لا رفضها
المتكرر ....حدق في أقصى
العينين ..... حدق في أعماق
الروح ....في أعماق الوجد
المخفي ....في أعماق الحب
النابض ملء الأحشاء لا
تتريث ....لا تتريث ....سيسوقك
الوجد لها فتطمئن ...وتطمئن .

* * * * *

يتلألأ الصبح في وجنتيها ..... على ضفاف عينيها ....من بسمتها ...تدعي أنها لم تقل شيئا يضجرني ..... وتمرح ... وتدعي وتمرح .... لكنها سلبتني كل حقائقي ... كل تاريخي المعبد بالبطولات .... جنت على كبريائي ....مرة دعوتها فامتنعت .....طلبت أن لا ادعوها مرة أخرى ....ومرة استفسرتها .....

- تحبينني مآل ؟

صمتت.....قالت :

- إن الحب لا تعرفه الكلمات ....لا تستوعبه الحركات .....لا يدرك بالأحرف أو يرسم بالفرشاة ..... باختصار لم تتأكد .....لم تتأكد.....وتساءلت .....و تداركت .....هل كان حبا ؟

في زمن البطولات ، اشهد أن امرأة مثلها أطاحت

بي .... صعقت تاريخي رغم تزييفي لكل وقائعي معها .....لكل وثائقي و أحاديثي عنها ..... قادت ما املكه من تقوى إلى بحر تفكته الأمواج..... أخذت تعطيني تأريخا أخر .....تاريخا أخر .... تاريخا يتبعني حتى اللحظة ...أتحسسه في محيا امرأة تشبهها .... في رداء يكشف سيرتها .....في لون يشبه لون العينين ....أو صحراء تشبه أطلال الخدين ....ما بين امرأة و امرأة أخرى ..... ستموت و تحيى ....تلك الذكرى ..... ذكرى امرأة وضعت حدا للتاريخ.....حدا .....لا تتخطاه امرأة أخرى .

* * * * *

في صباح متخم بالشتاء ....كانت مآل أخر من

يجيء ....أخر من يسير ....أخر من يلقي التحية ...دون أن تنتظر ردٍ مني .... ما الذي جعلها تطلب مني أن لا اتصل ...ما الذي جعلني استجيب لها هكذا ....وما ينبغي لي إلا أن اذرها تمارس أنوثتها.....تدعي بخلاف ما تضمر .... تطلب مني بخلاف ما ترجوه .....والغريب في أمرها معي أنها استنزفت كل ما املكه من وحي الكلمات ....

من إحصاء الشعر ...بدون توقف ....بدون إمعان ....قلمي هذا لا يستثني ....لا يستأذن أحدا في أن يكتب له أو يمحوه .....

انتظرها حتى تجلس .... منعه الصمت و الأبواب الموصدة .... من أن يلج هكذا بدون استئذان ....من أن يقطع شيئا حرص على أن يستمر ....فلم يستقم ....ولم ينحني....ولم يبارحه شوقه

فيها ... سأل آخرين أن يكتبوا بدون توقف ... مضى يسأل الجميع ..... حتى أدركها .... قال لها بهمس طفولي مطبق ..... همس لا تدركه إلا أذناها المتواريتان .....خلف حجاب هو أحلى من كل حجابات الدنيا.... قال لها .....

- اكتبي :

فانفرجت عيناها من أسفل شعر فيهما حتى أعلى قافية .....و مضيتا بياضا ملتهبا و هما يقلعان مرتجفتين .....ثم مبتسمتين صوب امتناعه....

* * * * *

مآل هذه قصة خيالية ...
أيعقل أن فتاة مثلها .....مثل سمارها المتورد ....مثل غموضها اللا منتهي ....مثل خديها الذين يملأن نصف وجهها .....مثل لحن ابتسامتها

المتكرر ... تعشق رجلا في الأربعين ... رجلا بعمر النبوة ..... بعمر النهايات ..... النهايات التي تأتي على القلب و الهمس و الذاكرة ..... باختصار رجلا قرر أن يعتزل .
في كل مساء ... بل إذا أتى كل مساء ..... تستعد ..... تمتطي سلالم دارها ..... من جوف زقورتها .... التي تلتهم نشوتها ... الى أفق تتراص فيه الكلمات ... وتندر فيه الملامح و الإبصار ...
تغلق بابها ... باب السطح وتجلس ... في سرير مثلها متوحد مستلقي جلست ... تتصنع القراءة ... و لكنها ما تلبث أن تقرأ أرقاما ..... الخامسة و الربع ... فكرت أن تدع له مجالا آخر ... الخامسة و النصف فكرت أصلا أن لا تتصل ..... و لكنها فعلت.....

فعلت ....واتصلت .... اتصالا قصير ....صمتت.....سريعا جاء الرد ....رد الاتصال ...
- مآل .. كيف أنت ؟
- مآل .. قولي ألو .... كما تقولينها كل مساء .....قوليها .... مرة أخرى ...و أخرى ....و أخرى...
- مآل.. أنت تقولينها بالهام موسيقي تعجز عنه الأوتار ولو كان بعضها لبعض ظهيرا.....
- مآل .. كم مرة تذكرينني .....في الصباح .....في المساء ....في تنبهات اليقظة .....أو في سرابات الحلم .....أو حتى في مناسك الصلاة بعد أن تتوضئين .....
- مآل .....ماذا ترتدين ..... جلبابا طويلا وقميصا أبيض يقتل سمرتك الحية....وتي شيرت ضيقا و بنطالا أضيق منه ..... ورديا

مثل سمارك ....أم داكنا يفضح هذا السمار .....
- مآل ..... هل ترتدين الحجاب .....أم أطلقت شعرك .....كما يطلق النخل سعفه....أسود منهمرا .....متليلا كليل الجنوب .....أم متلونا بتفاصيل بزهو الربيع الأبدي .....

* * * * *

أتعرف متى كانت البداية ....بالتحديد .....كانت قبل عام .... ولكنها لم تكن بداية....كانت إيذانا بالبدء ..... يومها كانت هي مخضبة بالسواد .....من أعلى سعفة فيها .....حتى أخر جذر تحت أرضها ....حتى أطراف الفم ....نهاياته من جهة الخد كانت تسرد لحن حزنا مقيم ....حزنا ما برح يتجسد ....و يومها ....كان هو

غارقا في بياض
لجينية ...كادت
أناملها ... ولون
حجابها ....وورد
وجهها ....لولا احمر الشفاه أن
يكتسح الثلج
بياضا .....ولكنها رغم عاصفة
الثلج..... نقشت شيئا في
مدارات قلبه..... ظلت تتمحور
حوله ....كي يعطيها دفئا يصون
دورانها اللامتناهي ....لا رغبة
منه في أن لاتنفلت .....ولكن لا
يعرف لآي شيء استذوقها
بالتحديد .....منذ تأريخ ليس
بعيد ....كان يعتقد أن
السمراوات سيغزين
العالم ..... سيغيرن وجه
الأرض.....حتى ظل حلمه هذا أو
فكره يستهويه أن يلعب
معهن .....يخوض
مباراة..... حتى لو كانت
تجريبية لا تحصد فيها الأوسمة و
لا تعلن فيها الجوائز.... ظل
الأمر كله محض تجربة .....حتى

أخبرته ذات صباح ..... وهي تسلمه أوراقها ...أن تعبدها لم يكن على ما يرام ....فهي تخشى المعبد .....ان لها مع كل زاوية من زوايا المعبد قصة مشوقة ثم استدركت .....

- هل تستطيع أن تعطيني درسا أو دروسا في التعبد بعيدا عن المعبد تدرسني وحدي.....تتعبد لأجلي..... أبي قال لي اليوم..... انه سيجلب لي مدرس تقوية..... ينقش في ذاكرتي ....بعد دفاتري ...رسم الحرف و وشم الآلهة...نطقها....معناها ...هل تستطيع ؟

ببرود.....و بشئ من الحزم أومأ برأسه رافضا ....

في شتاءٍ يزاوج البرد بالمطر ....و الجمال بالدفء عادت مرة أخرى تستهويه.....

- مآل ..... أنت تقلبين عينيك بخبث مفرط يبدد أفق

المعبد ..... أنت تتحرين
اللهو .... تعبثين .... تبتسمين
بلا دعوة للمرح أو سبب
للابتهاج ....
-
مآل ..... أحذرك ..... أحذرك
.....!
كان يدرك تماما أن
مآل .....لم تفعل ذلك
كله .....ولكنه لم يدرك
أبدا حتى الساعة .....لماذا
استدعاها .....لماذا
أنبها ..... لماذا
حذرها .....شيئا واحدا
يعيه..... أنها لا تزال تجوب
مدارات قلبه .....

* * * * *
مآل ..... أخر من
تبقى ..... من سلالة
النساء .... من سلالة
السمراوات .... اللاتي يزحن
الصبح
بعتمتهن ..... اللواتي

يغلبن اللون على أمره..... مآل كانت في ذلك الصباح متألقة .... رغم أن الأمر لا يعنيها لكنها بدت مثلهن ..... أحمر فاضح على الأكتاف .... أحمر فاضح على الشفاه .... أحمر مخملي حجاب الرأس .... وهي في ذلك كله لا يعنيها ألا لوناً واحداً .... البيجي ..... حجابها بيجي ..... ردائها بيجي ..... المكياج الخفيف كان بذات اللون ..... ولكن ابتسامتها ظلت بيضاء ..... والصبح وحده أستبق الأحاديث.

- لقد أشعرتيني بضجر لا استحقه ..... ضجراً أتى على ليلي كله ..... ما أحسب كلامك في الأمس ..... إلا طعناً في ذاتي ..... طعناً في رجل يتحول من قصم ظهور النساء ..... إلى استدراجهن حيث يؤوي ..... حيث يسبر أغوارهن بهدوء لا يجلب الشك ولا يطيح بالعاطفة .

استوقفها .
- آه ..... لو تعلمين أي ضجرٌ أحاق بي .
- مآل أنت تتعمدين ..... أم تعبثيـــــــن ..... لهـــــــو هذا ..... أم كبرياء ؟
- لا ..... لا لهـــو ..... ولا كبريـــاء ..... أنـــت تتحسس مني ..... من أحرفي ..... من لفتاتي ..... ثم تسمي تحسسك هذا حباً .
واســـــــــتأذنت وكـــــــــررت الاســتئذان ..... بعـدما كـررت أنـها لم تتعمد ضجري ..... في العاشرة كانت أبواب المعبد تفتـــــــــــــــــــح ..... وابتـدأت ..... مـآل لـم تشـــترك ..... لـــم يحـــن نضجها ..... تحتاج ربيعاً أخـر كـي تنضـج ..... ولـكـن المعبـــــد غـــــص برائحـــــة النساء ..... نساء من كل حدب وصوب ..... عيون أتت أكلها ..... حيل بينها وبين

الغرس والماء بعد أن نضجت ..... اختلف القادمون وهو جالس ..... جالس لا يعبأ ..... جالس في عبث تائه ..... ضحك متكرر .. هزو وسخرية من المتكلمين ..... من المتحدثين ..... من المحتفلين ..... في الآخر ..... دعوه أن يعتصر الورد..... ليملأ قارورة عطر يهديها لأجمل سيدة في المعبد ..... أو لأحلى نساء القصر..... ابتسم ..... وهو يتقلد ناصية القطع ..... ابتسم وقد أحاطت به النساء مضرجات بالمكياج ..... غارقات في مرح إلهي ..... قرر أن يقتلع الوردة من أحلى أجزائها ..... وسطها المنتفخ ..... فاكتسحها ..... هناك غرز سكينة محتفلة..... فصفقت له أيادي مبيضة كاللجين ..... وتبسمت له

الشفاه محمرة كالخدود .....
ورجته العيون أن يمنحها هذا
الطبق المسكوب على ماء
الورد ..... هذا البوح
المسجى تحت الورد ..... مال
وانحنى وقطع الجمع ..... مآل
أحلى امرأة في المعبد .....
أحلى قارورة عطر في
الصندوق ..... أحلى سيدة
تتعبد ..... لم تشأ مآل أن
تقتني الورد ظلت
مستغربة ..... لكنها ابتسمت
وابتسمت ..... وظلت تمسك
قارورة العطر .....
تتباهى ..... والأخريات
يقتنصن النظر ..... غير
راغبات... متضجرات ..... لا
يعتقدن مثلي أن مآل أحلى
امرأة في المعبد .

* * * * *

ما الذي تفعله ..... كيف
تستأمن امرأة مثلها ..... على
تاريخك كله ..... لا ينبغي

لامرأة مثلها أن تحفظ ما ألفته ضلوعك و لا ينبغي لتاريخ مثل تاريخك أن يُفشى ..... وألادهى من ذلك كله ..... أنها غدت تعرف حتى نبض قلبك في ذلك التاريخ ..... تأملاتك ..... أي خدش في الكبرياء ..... أو أي صعقة في العاطفة ..... بل هي تدرك تماماً ..... كيف تبدأ مع كل النساء وكيف تنتهي ..... وتستطيع وبدون مساعدة أن تعرف ماذا ستقول عن أي امرأة جديدة بما في ذلك مآل ذاتها ..... بعد شهر ..... بعد سنة ..... بعد أسبوع ..... ستصفها مثلما وصفت من كان قبلها ..... وسخة ..... قذرة ..... بعدما كانت في عداد نجوم الثلج .

أستطيع أن أجزم ألان أنها تعرف أسماء نسائك ..... تقاسيم ملامحهن ..... ألوان

أرديتهن ..... طراز حقائبهن ..... تسريحة من يسمح شعرها ..... ولون حجاب من أبى شعرها أن يشرق ..... ولذلك كانت لا تتورع ..... أن تومئ الى ذاكرتك أن تتوقف ..... وتشير دائماً الى اللحظة التي تفلت فيها الكلمات لتبحث عن قلب أخر.....قلب أخر من ذلك القاموس غير قلبها ..... كانت تستوقف تلك اللحظة لتؤكد أنها مآل وليست ..... وليست امرأة أخرى أنها مآل سيدة القرن الواحد والعشرين وليست أي امرأة من عصر البطولات ..... كان ذلك بقدر ما يزعجها ، بقدر ما يؤكد أن التاريخ تملؤه النساء بقدر ما كان يزرع نشوة فيها أنها امرأة وحيدة في قرن بأسره.

ماذا ..... لو لم يبق لديك تاريخ تسرده ؟..... ماذا

لو ..... لو لم تسرد لك شيئاً من تاريخها ؟..... وهي لم تفعل ..... فهي امرأة غير معلنة وكل ما تعرفه ..... أنها سمراء ..... طويلة وخزت ذات يوم جبينها بطيش منها فكاد أن يسفك تألقها ..... ثم ماذا ..... ثم أن كل هذا لا ينقصه السرد ..... ولا يعزي للبوح ..... ثم ماذا..... أن أباها لم يرزق بسواها ..... رزق بسواها ولكن من سيدة في المعبد..... لم تكن أمها ..... هجر أمها ليسترزق بنات وبنين فكان له ما أراد ..... ولكنه وبعد أعوام عجاف عاد ..... خشية من سيدة المعبد أو حباً لامرأة خلف جدرانه..... أو ولها بتصريف مزدوج ..... ثم ماذا ..... لا تسردِ لي مآل

أي جديد عن هذه الحكاية .....
لا ينبغي لرجل مثلي أن يعرف شيئاً مثل هذا عنك .
وقتها كان يدرك أن خبرا مثل هذا أو حكاية مثل هذه الحكاية قد تمحو صورة مآل ألأزلية ..... مآل الحلم الذي يخشى عليه أن يتبدد ..... ويرغب له أن يظل لوحا من ألواح الأساطير ..... تاجا من تيجان الأميرات ..... وهو حتى الساعة لا يدرك ما الذي جعل مآل تختار من تاريخها كله حكاية مثل هذه لتسردها .....
الصدق ..... أم فطنة واختيار ..... شجاعة مفرطة ..... لماذا اختارت مآل هذه الحكاية ولماذا اختارتني لأسمعها ..... ألا يوجد فعلاً غير هذه الحكاية ..... أم لا يوجد

شخص أخر يصغي ..... أليست لها صديقات ..... أليس عمق الصداقة كفيل بأن يبتلع ألافا من مثل تلك الحكايات ..... هل كان من المناسب أن تقول لي كل هذا عن أمها وأبيها .

- توقفي مآل ..... أنسي الحكاية تذكري فقط حكايتي معك ..... أسرديها .....أي تاريخ أخر يقبل تأويلا غير حبي لك غير أنتهائي على مشارف عصرك .....

- مآل ..... ما بال التاريخ لا يتذكر .....

* * * * *

أعلنت أنها ستتوقف .....قالت إنك عبثت بنظم الكون ....بأبجدية الصبح و المساء.... ليس لها أن تستمر .... ستستمر في حبك وتنقطع عنك .....

أرجوك أن لا تتصل ..... أرجوك أن تبتعد ..... أنا أحبك بطريقة جنونية .....طريقة حطمت ما أتت عليه و سحقت ما فات منها ..... صدقني ....و الله ما أحببت و لن أحب و سأظل أحبك ...والله ما دخل في قلبي عنوان أسمى من عنوانك و لا زمن أحلى من زمن أمضيته معك و لكن ما الجدوى ..... ما الفائدة ....ما النهاية ....لك عالم و لي عالم.....لك معاركك و بطولاتك و فرسانك ....و أنا مجرد امرأة.,... أقسمت أن لا تتناول حبا حتى تطأ الثامنة و العشرين ....أن لا تفكر بأي رجل .....أن لا تسمح لكل الرجال أن تعيش أو تموت على شواطئ قلبها ....حتى الثامنة و العشرين بعدها سأتزوج رجلا بسيطا يأكل من صنع يدي يلبس من صنع يدي يتحدث بلساني فأفقه كل ما يريد و لا يفقه

شيئا من لغتي ....كان ترددها وامتناعها يوحي بأنها لا تبدأ بعد ذلك أبدا .....حتى عندما عاودت الاتصال .....في المساء استهلت إصغائها إليّ بنغمة مختلفة لا تشبه نغمة كنت استذوقها على مر العصور .....ثم طلبت إلي أن انتظر....لأن صديقة لها تنتظر ثم ضحكت ....كانت ضحكة تجمع بين المرح والسخرية و الانتهاء ....لكنه رفض هذه البداية .....

قال لها أبدئي كما كنت تبدئين دائما .....

قولي " ألو" بلحنها السومري لحنا يجمع الرقص بالنخيل .. يجمع النساء بسحر الحب على الكلمات ..... ألح في الطلب ....فانصاعت .....

قالت :

- ألو .....شكو ....

سألها

- ما اسمك ؟

- مآل .
- أبوك ؟
- أنت .
- أخوك؟
- أنت.
- حبيبك .... ؟
- دع عنك سؤالا مثل هذا .
- زوجك....؟
- وهذا سؤال دعه أيضا .
- مآل أقلعت عن حبي ... أنتهت اللعبة ..... تغلقين هاتفك ثلاثة أيام متتالية..... ثم أدعوك فتمتنعين ..... تحتجين بسائق لا ينتظر بصديقات سيطلقن السؤال .....
- أين كنت ....؟
- مع من تمضين وقتك هذا ؟
- هذا وقت لا يستهلك ألا في أقبية القلب ..... وقت لا يفلح للتقوى ....لا يفلح فيه الدرس ..... وقت لا يصلح إلا للحب فأين أمضيته مآل .....؟

قالت تتحجج .....

أرجـــــــــوك أن تطلـــــــــق
ســراحي ..... أرجــوك أن تخلــي
يـدي .....مر زمـان و أنـا أقـلب
تــاريخي معــك .... الــى أيــن
سأنـتهي
أنـا أغرق بـين يـديك ..... كل
مـا فـيّ يـندثـر ..... كم لـيلة
مــرت ..... وأنــا أصــارع
الـنوم..... أليـلت عيـناي ....
ومـا استجابـت جفـوني ..... أنـت
فـــيّ ..... لا شـــئ يمحـــوك
مـني ..... كـلمـا أنـصفت نـفسي
عـاهــدتـهـا أن أتـركــك .....
عدت إلـيك ..... كـلمـا قـررت أن
أهجر فـيك روحي ..... دعـتني
إلـيك عـاطفـتي ..... بـلا
اســتـثـنـاء ..... أنــت.....
مـن أنـت ؟ ..... مـن أيـن أتـيت
؟..... إلـى أيـن ستـأخذنـي
؟ ..... إلـــــــــــى.....
الـهـاويـة ..... أنـا ألان فـي
الـهـاويـة ..... أرجوك أن تـكف
عـني .....فـقـط دعـني .....
أريــد أن أنـجـح فـيــك .....

أفلت من طيفك المحصن .....
من عينيك الغائرتين .....
ألست تقول أنك تحبني .....
أنا أسألك بهذا الحب .....
أتوسلك أن تبتعد .....
أنت لا تدرك حبي لك .
أتراه لا يدرك حباً مثل
هذا ..... أتراه حباً
مختلفاً حقاً كما
تدعي ..... أيعقل أن
فتاة مثلها تحب بهذا
الهوس ..... أيعقل أن
هوسها هذا يدفعها ..... في
كل مرة أن تطلب منك أن لا
تتصل .....أي حب هذا الذي
تريد له أن يتبدد قبل أن
يتم ..... أهي تحبك حقاً
أو حبتك أصلاً ..... ظل مطرقاً
يصغي وهي تكيل له الكلمات
كيلاً ..... لكنها سمعت
إصغائه ..... أطرقت صمتاً
على صمته ..... الصمت يستغرق
الكلمات ..... نادته .

- لماذا تصمت ؟..... تكلم ؟
كان صمته يبوح له أن لا يتجدد ..... يرغمه أن يستجيب للنهايات ..... يستجيب لأن لا يبتكر الملل ..... بدأ مرة أخرى يستقري ..... لماذا تطلب اليّ أن ننتهي ..... وقبل ذلك ..... هل كانت فعلاً تحبني ؟
- مآل ..... توقفي ..... لا تقولي ..... أن حباً غزى قلبك على مقربة من الفجر فأباح الهتك ..... ونظر لسفك الروايات .
إذا كنت تسأليني ..... من أي الحكايات تجيء عزلتي ..... من أي الأقاويل ينحدر صمتي ..... من أين تجرأت فتنهدتكِ حلماً ..... واستعنتْ بيأسي عليكِ ..... بضجري من تاريخ ترحل عنه

النساء بلا نهاية ..... كل النساء .
أطرَقْ مرة أخرى ..... كانت إطراقة بعمق الحكاية كلها ..... بعمق الحلم كله ..... بالقرار .
- حسناً . مآل..... لقد أزعجني جداً أنك ما فتأتي تطلبين طلاقكِ من أحزمتي من سطوة قبضتي
مآل..... الآن أنا أقرر ..... لا حديث بيننا ولا كلمات ..... كل الحكايات ..... ستنتهي ..... أعترف قبل أن تأتي النهاية ..... ما تحدتني امرأة قبلك بمثل فروسيتك .....كنتُ ..... طريحاً ..... صريعاً ..... مفترساً يمكن أن تنهشيه ..... يمكن أن تستحوذي على ما تبقى من آلة حربه ..... ولكنك كنت ترفقين تؤكدين دائماً أنك أحببتني ..... هكذا .....

ليس لأنني ..... وليس لأنني ..... وليس لأنني أحببتني وحسب .

- مآل أخشى أن تموت كلماتي قبل أن تلد صبحاً جديداً ..... أو تطأ أعقاب إمرة أخرى .....

- مآل أشهد أنك يتيمة حلمي ..... يتيمة مساء لا ينتهي ..... كنتُ أخلدُ فيه إليك ..... أطلقُ شعري فتنصتين ..... أعلنُ رجولتي فتتذللين ..... أسرد تاريخ بطولاتي ..... النساء التي جلستْ تستجدي حبي..... فلا تتضجرين .

- مآل ..... أشهد أن امرأة مثلك ..... طافت بي سموات سبع وأرضين احتجزتني حيث لا امرأة ..... ألا هي ..... حيث لا همس ..... ولا صمت ..... ولا بوح ..... ألا لها ..... أشهد أنك حملتيني من أخر الأرض إلى

أخرها ..... من أحلى النساء إلى أحلى النساء .
- مآل ..... قبل أن ننتهي ..... هذا وعد مني ورجاء ..... قد لا أحسن حفظ العهد..... وتراودني نفسي أن أتصل ..... قد لا أجيد فن الصوم ..... وقد لا أتطهر بالإمساك .
- مآل ... أعهد إليك أن تلجمين فتى يتهدده ماضيه معكِ ..... أن يستمر ..... أن ينقلب ..... أن لا يصون .....أو يصون ويتحفظ .
- مآل ..... حتى أذا عاودت الاتصال مرة أو مرتين أتوسلكِ أن لا تردي ..... حتى إذا استدعيتكِ أسألكِ أن لا تجيبي .
- مآل ..... انتهى حلمي ..... انتهت كلماتي ..... ما عدت أحسن فن التعبير والتغيير ولا التفسير ..... أنا رجلُ

منقطـــــع الإلـهــــام ....
رجلٌُُُُُُُُُُُُُُُُُُُُُُ
ُُُُُُُُُُُُُُُُُُُُُُُُُ بـــــــلا
مطر .

* * * * *

أمـــــس قبــــــل أن يحـــــــل المساء ..... المساء الذي يجئ بعطـــر مـــآل ....بعينيهـــا الغامضتين...... المأساويتين المتـــدفقتين بحـــزن لا يعبـــأ بابتســــــــــــــامتها المتكررة ..... تركت له مآل رسالة قصيرة في عصر انتهت فيه الرســائل و بـــدأت أقاويـــل الانتهاء تلوك أحاديث عن زمن سينتهي فيه كل شئ ....مآل تدعي ...تقول ....

- أنك سندباد نساء......

شوما ....أرغيدا ....

وقبل ذلك سيدة القمر وبعد ذلك كله شان .....و سيدة القمر وحدها ألف حكاية و تدعي أنك رغم ذلك كله تحبني ....و هذه

هي المشكلة .....كيف لآمرة مثلي .....أن تصدق قلبا يجمع كل هذه العناوين ....و يذوب في كل هذه الأسماء.....ثم يصطفي أمرآة أخرى..... يقول لها كل مساء إنه يحبها .....
انتهت رسالة مآل .... لتبدأ رسالة جديدة .....بعد ساعتين فقط ..... رسالة ساخرة تعكس وهما متشردا و عاطفة متسولة و تأريخا متواطئ أذا أطنب الحزن على جنباته.... تنفس من أخر أفق فيه أمضاء السخرية .....فما كان بهيجا .....
مآل .....تقول ....
- أن حبك ....يشبه السمكة !
و لا أدري أي سفر ....ذلك الذي يجمع بين حبي لمآل و إيحاء رسم السمكة .... ثم عادت لتقول ....
- أن السمكة التي هي رمز حبنا أنصحك أن تعتني بها .....و تصونها .....فهي لا تعيش ألا

في الماء .....لذلك أنصحك أن تعيش معها تحت الماء .....في حوض تسبح فيه الأسماك لكي لا يتسرب أليها يباب يعضل قلبها و يستوحش غدها .....!
سخرية مبكرة ..... مآل تسخر من الرحلة كلها .....من التأريخ كله .....من حقها أن تسخر ..... من حقها أن تترك تأريخك كله .....كما هو دون استجلاء دون الهام.....دون حياة تدب فيه بلا انقطاع .....من حقها أذن .....فلا هي تدرك ما تريد.....و لا أنت قبل ذلك تدرك ما تريد ....فلماذا تستغرب السخرية .....السخرية التي قادتك دوما الى الحقيقة ..... حقيقة النساء اللاتي يترددن على قلبك بكل زهو فهن نساء قلبك .....
حقيقة سندبادك الذي لا يستفيق من سيدة ألا على أوتار سيدة أخرى .....حقيقة الوهم الذي

ينقلب شعرا بين يديك لأحلى النساء بل لكل النساء .....
- لماذا لا تعترف ؟.....لماذا لا تعترف ؟.....
أنت سندباد العشق المأخوذ بلا هوادة..... يا بحرا جف .....لماذا تطلب مني أشرعتي..... لماذا تجتر أقاويلي .....لماذا تمنعني حتى من أن احتج على نفسي.....من أن أرفض تجربتي التي أمحت كل عناويني .....لماذا تتجبر .....لماذا تتجبر..... لا..... ليس العشق أن تعشق ألافا غيري ..... وأموت بهمس الوحدة فيك..... ليس العشق أن تطرق بابك ألاف غيري ..... وأظل موصدة عليك..... ليس العشق ..... أن تبتز العسل من أطراف الورد ..... من أخاديد الوجد المخفي وأنا

أجـــدد قيـــدي لـــك .....
لا ..... أســـمح لـــي أن
أسخر .....
أسـمح لـي أن أتـحقـق .....مـا
عـــــــادت ســـــــخريـتي
تـلـهـيـنـي ....أو .... تـجـبـرنـي أن
لا أتـحـرر مـنـك ....

* * * * * *

صدقـني لـم تـكن تـحبك .....كـانـت
مـحض أمـرأة تـوجست خيفـة مـن خطر
يـبطـش بـآمـالـهـا فـامـتعضـت و
تـحصنت ..... تـحصنت بـالـورد
بـدل الـكبريـاء و تـوسلت بـامـتداح
الـعيـون.....رأفـة مـرة و
انـدهاش ..... عيـنـاك مـن
أحلى عيون الـبشر .....
صدقـني لـم تـكن تـحبك .....أبـحث
فـي تـأريـخك مـعـهـا .....في
سيـل الأسئـلـة..... و فـي انـتظار
الـــردود.....فـــي غســـق
الـبـــوح ....فـــي ألإنـصـــات و
الإصغـاء .....لـم يـكن شيـئـا مـن

ذلك كله يوحي أنها استسلمت ..... أنها أذعنت حتى ....ولو لمرة واحدة .....كنت في دائرة الضوء و لكن خارج دائرة القلب ....
صدقني لم تكن تحبك .....بصراحة لم يكن حبا ذاك الذي اكتشفته في العيون ..... في بوح الصبح .....لم يكن بوحا أصلا" ....كانت ثمة أمرأة خجلى .... من أن تقتحم الحصون ....أو...بالأحرى متصنعة .....فألفيت ما ألفيت ..... رغم أنها وضحت و دافعت و أسهبت دفاعا و شرحا وذودا ....و لكنك رغم ذلك كله تسميه حبا .....
صدقني لم تكن تحبك .....راجع كل الدقائق .....كل الأحاديث التي امتدت عبر زمن يلتهم الكلمات بلا استثناء و بلا استحياء .....كم مرة دعتك

فيها بأن لا تتصل .....كم مرة ألزمتك بأن لا تدعوها مرة أخرى ..... كم مرة قطعت الحديث معك و أنت في اجل نشوة لتسألك عن نهاية .....كم مرة امتنعت عن الرد أملا في أن لا تتصل مرة أخرى.....و لكنك أمعنت في الاتصال ..... عاودت الدعوة .... خرقت تعهداتك لها و مضيت .....و مضيت تسألها .....قومي نرقص ...قومي ....

سرحي شعرك بطريقة (ألكاريه) أعطيني علبة المكياج .... كي ألون الشفاه .... بلون الجوز بلون الديرم .... كي أغُرق العينين بكحل يتيم يشيعهن حزنا على حزنهن .....

أرتدي حجابا أصفر يظهر نصف الشعر و يحجب نصفه .... نصفه الذي تلألآ قبل أيام فكان ثمينا بلون النظار.....

صدقني لم تكن تحبك .....أجزم أنها امتنعت

عن خاتمك الموسوم بلون القلب بالشذر الأبيض ..... امتنعت لأنها تدرك تماما أنها لعبة ستنتهي أن لم تكن قد أدركت أنها لم تبدأ أصلا ..... رفضت أن تبقي منك بقية تحملها على أن لا تنساك .... أو..... دعتها الرأفة أن تصون مالك بعد أن بددت مشاعرك .....

صدقني لم تكن تحبك ..... في الزحام ..... يسألها من يسألها ..... تبدد وقتها ..... بعضهم يفطن لقبلة شهية ..... وبعضهم يلقي شعره متغزلا ..... أو يجلس معها بطريقة لا يجلسها مع أي امرأة أخرى ..... وهي تدعي أن ذلك منك أتى على كبريائها المعمد بالحصون و الذي لا يجرؤ من يجرؤ حتى لان يدعوها أن ترد تحيته عليه .... وهي فعلت ..... وفعلت ..... وفعلت . ....

صدقني لم تكن تحبك .....لا
تتذكر شيئا منك..... لا تذر
شيئا فيك .....لا
تتمعن.... تنسى لون
قميصك .....لون
البنطال .....بهجتك الفاضحة
أو غضبك المستكين ..... أسألها
هل بقي شيء منك فيها .....لا
تحفظ شيئا منك أبدا .....و
أنت تحفظها كلها ..... متى
ابتسمت ..... متى
أضطربت.....لون قميصها
الأبيض..... غمام حجابها الذي
لا يندي و لا يمطر ..... أنت
تعرفها كلها ..... حتى طراز
حقيبتها .... امتداد
أناملها ..... ثم
خواتمها .... المكان الذي تقف
فيه.....صديقاتها ..... أتظنها
وسط ألاف النساء تتيه .....لا
لن تتيه تتحسسها..... بأفق
القلب بوهم
الروح .... تنظرها ..... وهي
تتصنع الخجل..... تتصنع

الحب .....لكن صنيعها هذا حلم
لا منتهي ..... ألبستك
صنيعها ..... على غفلة من
افتراء أو همسة
متيقظة ..... وصلت حد ألانفلات
من أسوار ترددها المكين و
لكنها ظلت مع ذلك
كله .....ظلت متحفظة.....
صدقني لم تكن تحبك ..... ألم
تلحظها ما فتأت
تقول ..... لقد أحرجتني حين
دعوتني ..... قالت لي
الشفاه..... عن ماذا
تتحدثون .....و سألتني
العيون..... عن أي شئ تبغيه
مني ....وأنا أرقب العيون
تطاردني .....حتى عيون
الراهبات حين أخترق الممر
أحسها ترصدني ..... تترقبني و
حين أقف وسط المعبد معك أشعر
أن هناك من يضبط الوقت و
يسترق السمع و يتلصص
النظر ..... أنا ما عدت
أحتمل .... الكل يعرف قصتي

معك ....لم أخض بهذا اللون و لم أميز عيونا ترقبنا بهذا الشك كل العيون....أرجوك أن لا تدعوني مرة أخرى .....فأنا لا استحق ما يقال عني و أعتقد أنك لا تستحق أيضا ...
تنصلت و هي متخمة تطاردها العيون ....كلما أودعت قدماها في الساحة كلما جلست في مكانها العتيد .....لها مع كل زاوية حكاية .....فلماذا تدعي بكارتها في الحب و جهلها بالعاطفة .....
صدقني لم تكن تحبك .....لعلك مرة سألتها بعبارة أوضح من كل عبارات التأويل .... كانت الإجابة لا تحتمل تفسيرا لمأمول يطول أو اجتهاد يعصفه الشوق و الهوان .....
تحبينني .....مآل .....
..؟
فهل تتذكر كيف أجابت ..... صمتت ..... حتى لم

تصمت..... أطلاقا ..... قالت ..
...
أنا لا أعرف معنى مصطلح الحب لا أفهم فحواه ..... لم أجربه من قبل ..... أنا بسيطة حد البساطة التي لا أريد لها أن تتبدل أو تتحول أو تتؤول ..... لم أعرف من قبل حبا كي أحسب ميلي نحوك حبا .....
ردت بكل ما يعني أنها ليست تحبك لست ضمن قائمة القلب رغم أن قلبها سحق تجارب و تجارب خلت .....و لكنها تواضعت فكان أن لا حب بينكما ....
صدقني لم تكن تحبك ..... كل مرة تسألها نفس السؤال ..... ما مرّ يوم ..... عبر الهاتف ... عبر العينين ..... إلا و تسألها .....
- تحبينني مآل.....؟
و ما تراها تجيب ..... لم ترضِ فضولك ..... لم تضف

لبطولاتك بطولة أخرى..... تجسدها امرأة تستلم دون حراك أمام ذهول عينيك الخارقتين ..... حتى يأست .....

- مالك كلما تبادلنا الكلمات سألتني كم أحبك ..... لو تعلم ... ما ينبغي لآمراة أن تبوح بحبها ....

فالحب يدرك بالقلوب .... يُكشفَ بالعيون .... يُفهَم بالإيحاء ... ألم تقل إنك أمضيت سنوات مع شوما و لم تقل لها يوما أحبك ..... فلماذا تطالبني هنا أن أفضح قلبي..... وأكشف سريرتي ...و أقولها ؟

أجابت باختصار .....

- اسأل قلبك لا تسألني ..... جرب أسأل قلبك ..... ماذا تظنه يجيب اسأله بلا تردد.....لا تخشَ إجابة متوقعة .....ردا حازما ؟

سيقول بكل تأكيد أنها لم تكن يوما تحبك ....
و صدقني لم تكن تحبك ..... أتصل ألان أسالها عن أي لحظة يمكن أن تفسرها حبا منها .... ولها مستفيضا ..... عشقا مستطردا أسألها .....
- أذكري لي لحظة واحدة تجسد حبك المزعوم هذا ..... أيمأة من عدم ..... تشيع وجود مستفيض ... و تؤكد خلود بلا هوادة .....
- أذكري لي ذلك هيا أذكريه ؟ ستجد الرد .....
- " خلاص" أذا كنت متيقن فما الفائدة من هذا كله !
إن اللحظة التي تطلق فيها خلاصها هذا هي ذاتها اللحظة التي تؤكد لك أن الأمر برمته لا يعنيها .
صدقني أنها لم تكن تحبك ..... أتعرف لماذا ..... تنعتك بالطيبة

المفرطة .....أتعرف لماذا تحب منك طيبتك .....لأنها ما أنفكت أبدا تعزف أوتار طيبتك .....تستجديك طيبة على طيبتك تسمح لها و بشكل متدفق أن تستمر و أن تستمر تظلك و تظللك.....

* * * * *

بقيت وحيدا ....لا مآل تتصل و لا أنت تفكر أن تتصل .....و لا مساء بينكما و لا صبح و لا تأريخا يعبق برائحة النساء .....

أنت تمضيه وحدك .....تلجم نفسك .....تدافع عما بقي فيك من كبرياء .....من وحي لا تجذبه النساء و لا تسقمه العاطفة .....لا تستغرب .....لا تستدعي امرأة أخرى.....أن تحل محلها ...و إن استدعيت ....ستذيقك بأسا .....هذه أسهار...بيضاء تزاحم الورد على

شفتيها .... واستسلمت عيناها لنعاس أخاذ يجبرهما أن يبتدأن صبحا جديدا .....تتحدث بلغة متناهية الجمال متناهية الطفولة .... أسميتها هندا وادعيت أنها تشبه هند طالب .... أنفها ينتهي إلى قمم عالية ينتهي إلى حيث يبتدئ التاريخ كله ....و سحرها يبدأ من أخر قمة فيه ..... استدعيتها مرة...مرتين.....ثلاث ....وجد تها تنتظرك بلا استدعاء .....سألتها ..؟

- ما اسمك ....؟
- أسهار ....لا هند !
- لماذا هند بالذات ؟

لأني كما تقول أشبه هند طالب ...!

- شعرك .....؟!
- أسود داكن .....

ما كان يتصور أن امرأة مثلها ببياضها الفضي .....تعتمر

ليلا .....أطرقت منه على شرفات جبينها خصلات ناضجة .....
- هل تتذكرينني ؟
- أحيانا .....
- لماذا أحيانا .....؟
أترى قصة حب مثل هذه ستنسيك مآل .....أترى امرأة مثل أسهار بيضاء مكتنزة يجري فيها المكر كما يجري الدلال .....تستطيع بأنوثتها المفرطة و أناملها اللدنة أن تستجلي وشم مآل.....أن تحل بهدوء.....بصخب.....بسكينة... .باحتيال.....بقانون..محلها.. ... أشك.. وأشك... و أشك .....

.....

صاحبكم أبله .....تلاعبت به مآل كيفما تشاء ..... أمس وبعد ثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً ..... اتصلت .... في الثامنة إلا دقيقة ..... فات المساء ولم تتصل ..... كان مساؤها بحدود الرابعة .....

الخامسة ..... السادسة لم يسبق لها أن اتصلت في الثامنة ..... رفض الاتصال ..... أغلق جهازه ..... ثم اختلى ..... في أفق الليل ألذي يبتلع الصمت والعتمة وأشياء أخرى ..... طلبها ..... كان رقمها وهو يملأ الشاشة ينكأ في جسده .... جرحاً نزغاً ..... ألما ..... ثم نشوة امرأة ساحرة ..... راقصة ..... امرأة مختلفة لم يعهد مثيلها ..... امرأة تجمع ..... وقاحة فجة ..... وشيطنة مطلقة ..... ومكر مستبد ألهم فتنتها ..... لم تكن فتنة حقا ..... كانت تمسخ وجهها بألوان فاترة مبعثرة وتزين عينيها بعدستين لاصقتين يقتفيان اللون ذاته ..... كانت ماكرة حتى في

مكياجها ..... فأنت لا تدرك أبداً أنها تتعاطى مكياجاً قبل أن تخبرك هي بذلك .

- مأل ..... هل كان حباً ؟

كم مرة سألتني هذا السؤال ..... بنفس الحروف ..... بنفس الجمل .....بنفس الكلمات .....بنفس الصمت الذي يسبقه في كل مرة .....هل تريد الصراحة ؟

- ضقت ذرعاً بمكرك .....صرحي مرة .....مرة واحدة فقط أطلق العنان للكلمات أن تقتحم صمتي بحثي عنك .....صرحي ؟

- في البداية كان حباً ..... غزوتني فاستسلمت أذعنت ..... أقر ألف مرة .....أعترف بلا انتهاء .....مستسلمة ذاعنة .....صاغرة .....أنني أحببتك ..... بشكل

جنوني ..... أطبق على عصري كله !
- مرة استلمت منك رسالة .....لم تكن رسالة كانت ستة كلمات فقط ((والله العظيم أنت أعز من حياتي)) فهل كان ذلك صحيحاً ..... هل كنت تعلنين الحب ؟
- أرجوك أنا أقسمت أن أكون صريحة .....فدعني .....نعم كنت أقصد ما أقول .....كنت منغمسة فيك ..... تبوح ذاتي شعراً .....همساً .....ركاماً من امرأة خلدت إليك .....نعم ....نعم ما ذنبي أن أحببتك هكذا ثم استفقت ..... فوجدتك تنأى .....وجدتك تحتضر .....ولا تسألني .....لا أعرف .....لا أعرف ..... لماذا أجبتك .....لماذا أطبقت عليَّ .....كسرت

خلوتي ..... انتصافي .....
. ثم لا أعرف لماذا تخليت
عنك .....لماذا سامتك لماذا
سأمت حكايتي معك .....عفوا
لم أسأمك ..... أنا فقط غيرت
نوع الحب الذي
بيننا ..... من بوح جنونياً
يفتك بي وحدي ..... إلى حب
مهذب ..... محبة
مستترة .....لا تتعدى قبضة
يدي ....لا تتجاوزني إلى
عذاباتي .....لا تستدرك فيّ
سحري كامرأة
طائشة .....امرأة رافضة !
أتعرف كم فتى غيرك
حاول ..... وحاول .....دون
جدوى ..... لم أسمح أبداً
لغيرك أن يتجاذب معي حتى حديث
قصير ..... أنا امرأة
رافضة .....أعيش بوحي
خيالي .....خيالي الذي دلني
ذات صبحاً عليك
فبدأت .....بدأت .....ويالها
من بداية .....لا أصدق الآن

أنها انتهت .....كنت أحسبها ستنهيني ولكنها انتهت ..... ومع ذلك فأنا أحبك ..... أحبك حتى الساعة ..... حتى اللحظة التي أتكلم فيها معك الآن ..... أحبك.... أفتقدك .....لكنه ليس الحب الأول ..... ليس الحب الذي بعثرني ضيعني ..... أسأمني ....مجرد حب بلغة عادية بحروف ليست من آداب الشعر أو آداب الخوف ....حروف عادية .....هل تسمعني ؟

- نعم .

- لماذا لا تتكلم أذن ؟

- أنا أصغي ..... استمري..... أنا صاغي فقط .

- ثم دفعني حبي لك أن لا أخدعك .....أن لا أذرك تسير بوحي وهمك معي تحسبني فتاتك ..... سيدة

وجدك .... وأنا لست كما تظن .....ما عاد في قلبي متسع لك فرجوتك أن لا تتصل وتوسلتك أن تبتعد ..... أنا لست كفأ لك .....ما فيّ شيء يوازي حبك لي أو يدانيه .....فقررت ثانية ورجوت وتوسلت وابتعدت وفعلت كل ما أستطيع .....كنت في ذلك كله أبحث عن نهاية علها تجدي معك علها تبعدك عني .

- حسناً .....ثم ماذا ؟

- ثم ها أنت ذا .....لا تبتعد .....ثم ها أنت ذا تعود .....فما العمل ! ظل مطرقاً يصغي .....يستمع لحديث طالما سمعه..... ألان فقط أيقن أنها تنعى الحكاية

- حسناً .....إذا اتصلتُ ألف مرة بعد هذا الاتصال لا ترفعي السماعة .....إذا استدعيتك ألف مرة بعد هذا الصباح لا تستجيبي ..... قفي

حيث أنت وأودعي هذا المساء حكايتنا معاً ولتنتهي .

في اليوم التالي .....والدرب زاخر بالنساء ..... أبطأ ..... أو ما لها .....فاستجابت .

- دقائق فقط .....دقائق ؟

- خذ من وقتي ما تشاء !

وتبسمت .....وتبسمت ..... ولطالما ..... أمضت وقتها متبسمة .....ثم قطعت ابتسامتها .....استدركت .

- أعرف ما ستقوله لي ..... أعرف ما ستفعله بي ..... أظنك ألان ستعطيني الصورة الوحيدة التي تجمعنا قبل عام .....سترد لي بطاقة عيد كتبتها قبل عام ((باقي على العيد يوم واحد ..... أحب أن أكون أول إنسانة تقول لك ..... عيدك سعيد))

- ما أدراكِ ؟

لست غبية إلى الدرجة التي تتصور .....ولكن مع ذلك فأنا أمجد أي صورة تجمعني بك .....أي حرف كتبته لك .....أي شيء منك .
ولتعلمي مآل ..... أنك أنت بدأت الحكاية .....وأني ما كنت لا بدأ أو استمر لولا..... لولاك ..... ولقد منعتك ألف مرة وكنت ميقناً أنه شيئاً مختلف ..... علاقة لا حصر لها وحذرتكِ
ونبهتك ..... ولكن دون جدوى ..... كنت أقول .....أخشى أن أنزلق فيك .....وتنزلقين ..... ولكنك كنت راغبة ..... ثم تأتين ألان لتقولين وسحقاً لك ..... لتقولين لي أنت تتبعني .....تتعقبني ..... أرجوك أن تبتعد ..... أرجوك أن تبتعد ..... أرجوك أن تخلي سبيلي .

- مآل ..... ألمثلي يقال هذا الكلام ؟
كانت مآل .....تتظاهر بالمرح .....تتجاوز حديثي لتقول لي أشياء عن المكان ..... كانت تبتسم .....وعيناها يخذلانها .....كادا..... أن يعطفا على المكان .....بكاء..... . المرة الوحيدة التي أشاهد فيها مآل تبكي ..... ولطالما أخبرتني قبل هذا عن بكائها المستغرق ..... غير أني كنت أحسبه محض هراء ما كنت يوماً أضنها تبكي .....تبكيني .....ألان . .... دمع مآل يتهددني ..... ستغدق مأل حزناً جديد علي.....لكنها امتنعت .....تماسكت ..... أخذت الصورة وبطاقة العيد واعترفت أنها قبل عام ..... ابتدأت

اللعبة ..... اتصلت .....
...وكتبت .....ونظرت .....
..وألحت .....وألان لم تضف
شيئاً جديد .

السيدة الثالثة :

سيدة القمر

وسط زهو المعابد ....حيث تضع الآلهة أوزارها و يتلاشى النور فلا يتنفس .....أضاع سيدة القمـــــــــــــر .. يـــــــــــأس تماما ..... أستدعى صديقا له أن يستنفر قواه بحثا عن رقم هاتفها.....فاخفق ....صديقتها الوحيدة .....أقسمت أنها لا تملك لها رقما .....و لا تعرف لها مقرا .....جاب عنها أماكنهـــــــــــــا .....وزارة البيئـــــــة .... الجامعـــــــة المستنصرية.....حقب من الزهر ستلد مع الربيع حتى القمر الذي يشبه دورة وجهها..... بل امتلاء عينيها لم يعد يعرف مكانهـــــــا أو يســــــــتغفر طيفهـــــــا ..... قـــــــال لهم.....اسألوا.....استقصوا ..... لابد أن يقع هذا

الرقم الملعون بين يديكم.....فتنقذوني .....؟
ذات صباح ..... لاشيء في أفق قلبه لا شيء يفشي سر عينيه ..... أنهى بحثه .... دلته القفار و دفعه الجذب لأن يعتقد جازما بأنها ما عادت ها هنا ..... كيف لسيدة تشبه القمر .....لعينين .....يشبهان ضوءه .....أن يدلهما .....أن يقطعا سفرا بعيدا .....و لا يستأذنان و لا يرجمان من أحاط بهما كيدا أو يصفحان .....
جدل روتيني غير مجد ساقه أن يقتحم باب المعبد .....لاشيء .....أكداس من حقب بيضاء .....و نساء ثلاث و رجل ..... الأولى فارعة الطول مستبشرة بكل الصباحات التي تنقضي يلهمك وجهها المتفائل و ابتسامتها ألارستقراطية أنها نجمة نفذت

وسط سكون الليل و ظلت هكذا حتى أدركها الصبح فبان على محياها و ارتسم على أطلال شعرها المسترسلة حتى أعلام كتفيها .....و لكنها تسطو على الحديث .....و تستغرق في الصمت فهي سيدة الحديث كله و سيدة الصمت كله .....و الثانية انزوت بحجابها فبانت و العدم سواء .....حتى لم ترد التحية و الثالثة شقراء لم يتبين منها غير نصف وجهها فأي نصف ذاك الذي أحاط به ....لم يكن وجها لامرأة بل كان لوحة لأبجديات الجمال ..... الشعر شد بكل .... حزم للوراء .... فانتفض غيره .....حتى غدا خدها مرتعا للونين الأحمر الناعم الذي ينبثق من أعمق نقطة فيه و الأحمر القاني الذي طرأ على ضفافها حتى استوقفته الشفاه ....و قبل ذلك كله حركة لعينين

ضـــــالتين .....لعينيـــــن
مستهزئتين .....
أي طفلة تلك التي تزهر مثل
عينيك لتقول إني بريئة .....و
أي هـــــــوى ذاك الـــــــذي
قـادني..... استوقفني جعلني
أسلك فيك تجربتي و عمري و
خضوعي ....!
والرجل صديق قديم .....بل
زميل قديم ..... أمضى
زمالته متعالياً لأن أباه كان
ضابطاً في الجيش .....
يتباهى بزي أبيه وسيادته أكثر
من حديثة عن ذاته وظل نفسه
متعالياً حتى اللحظة.....
ولذلك كان يفلح دائماً في أن
يتجنبه ومع ذلك سلم عليه
بحرارة متناهية وشد على يديه
وانتهى الأمر ..... أمر
النساء الثلاثة .....
والرجل .....و المعبد .
دخل غرفاً كثيرة ..... ألقى
تحايـــــــا بأســـــاليب
مختلفة ..... رافق جدرانا

مطنبة في
العرض ..... مسهبة في
الطول دل قدمها على احتشامها
فما بان منها غير
لونها..... في الممر
الوحيد الذي يزاوج بين تعاسة
الجدران وكساد الغرف
الموصدة.....قطعه
مرة .....مرتين .....
ثلاث ..... أربع ..... في
المرة الخامسة .....منعته
امرأتان من أن يجتازه بسلاسة
فأستوقفتاه رغما عنه ومضيتا
تتجاذبان حديثاً عن
الآلهة .....
السحر ..... الجن ..... وهو
ينتظر.....
ينظر ..... الشقراء ذاتها
التي كابد وجهها قبل قليل
فكيف به وهو يستلهم نصفاً
أخر.....نصف القمر
الأخر ..... أستأذنها .....
. ألتفتت إليه ..... فبان
القمر..... قمر مذبوح تصرخ

فيه العينان على زمن
ولى ..... زمن استأثرت فيه
على جموحي على طغيان
عاطفتي .....على
توسلاتي..... مر زمان بعيد
يا سيدة القمر وأنا أنتظر
صفحك عني ..... أنتظر أن لا
تنالي مني .....فما دعاني
أن أقترف كل ما
اقترفت .....ألا طمع في
أن تنجديني .....أن لا تعدي
كل خطاياي.....أن تعمدي معي
إلى الغفران .....يا سيدة
القمر .....ما ظل حجر في
أقصى الأرض وأقصاها ألا وسألته
أن يرشدني إليك .....ولكن
دون جدوى دون
فائدة .....أود أن أقول
وأنا حيث أنت .....أن ثمة
وثيقة واحدة تجمع بين أسمينا
لا فكاك ولا مفر ..... أنا
حيث أنت لا فكاك ولا
مفر .....رغماً
عنك.....تبسمت .....تذكر

ت .....تبسمت مرة أخرى .....لا يمكن لرجل أعزل أن يحتمل ابتسامتها وعينيها معاً .....لا يمكن أبداً .

سيدة بقميص وردي يعري ساعديها ..... فينفردا بياضاً مضيئاً ..... وتسريحة غير متقنة تجيد كل اللغات .....أتتك فتلمس أنوثتها تحت وقع كلامها .....فأن فاتك طيف من أنوثتها بين كلماتها بين نطق تلك الكلمات فأنك لا محال ستستفيق على غفو عينيها وهما يطربان لحناً أنثويا تنتقلان فيك تعزفان لك وحدك .....هيا استمتع سيدة القمر لك وحدك .....سيدة القمر بين يديك .

- أين أنتِ؟ .....ذهب الزمان ولم تتوعداني عيناك بقنص لذيذ ..... أخر مرة وجدتك فيها ..... في الصالة

المستطيلة كنتِ وحدكِ في
المنتصف .....جئت يومها
متأخرا..... فتحينت
الفرصة ..... الزاوية التي
تطل على عينيك
مباشرة..... هناك قيل لي
الكثير .....ولكني لم أسمع
إلا إياك .....ألا
أنت..... أتعرفين كيف يغرق
السمع وسط سطوة العيون
؟..... أتعرفين كيف لموج
عينيك أن يقتلع صبري
وكبريائي ..... ومجدي
؟..... ولكنك كنت في تلك
اللحظة مارقة .....تحسبين
صمتي وتوجسي وسيرتي محض
هراء .....كنت مارقة
حقاً .....حتى عندما أدنو من
صديق يقترب منك كنت
تبتعدين .....حتى عندما كنت
ألهو مع صديقة لك كنت
تنفرين ..... أحسبك
تحتفلين .....تمضين قدماً ولا
تعبئين ..... أيأخذك زهوك

هذا بعيداً ..... أتضنين
أن زهوك هذا سيأخذك
مني .....يا سيدة القمر
أنا أعرف تيهي فيك .....
أمضيتُ سنيني كلها أعصر تاريخ
النساء أقلب أمجاد
النساء .....أصارع أعتا
النساء .....وأنت.....أ
نت يا سيدة القمر.....
تكذبين .....ما أرى فيك ألا
امرأة متقدة ..... أحقاً لا
تشعرين ..... أحقاً لا تدركين
هوسي .....جنوني .....
.. بوحي المستكن..... تحت
أنقاض العيون ..... منذ
اللحظة التي استدارت فيها
عيناك لتلجمان كبوتي كنت
متيقناً أنك
حكايتي .....آذاني تلهفي
اللامعقول خلف ظلال سيدةٍ تنحدر
عيناها لتجلب سلالة الفجر
المقيد بالبؤس والمعقود
بالتخلي في أخر المطاف.

كانت مستعدة لأن تترك فيك الحكاية ..... مستعدة لأن تتركك هكذا .....أمام بناية مستحكمة الطول .....في ممر يسترزق الأشجار ..... في عشب يلتهم الربيع حتى قاعة الامتحان .....ما أن تترك مكانها .....حتى تجرب أنت أن تخرق زمان صمتك معها ..... فتردك حيث أنت .....لا تدع لصمتك أن يستفيق على أعتاب جبينها المضاء بواحتين .....حتى أيقنت أن ثمة لحظة ستجئ تنهرك فيها صراحة أو تشتكيك . لم تسألك رغم إلحاحك في أنك كنت تبحث عنها ..... كان يمكن أن تقول لما جبت العالم تبحث عني .....أنا ذا .....أمامك ما تريد ؟
أو .....
أن الذي بيننا لا يخول أياً منا أن يبحث عن

الأخر ..... لستَ في قسمي ولستَ في مجموعتي ..... بل ألأدهى من ذلك أنني لم اعرف حتى أسمك .
أذاً تجهلك جهلاً مطبقا ..... ولكنها لم تكلف نفسها أن تسألك علة البحث والاستقصاء ..... فاستدركت سألتها أن تنتقلا إلى مكان أخر ..... فالممر تترداف إليه العيون وتسترق الأذان السمع فيه .....وأن كانت لا تعبأ بذلك كله..... فالذي يراها لا يحسب أنها تتكلم .....لا يحسب أنها حتى ترد التحية..... هي بوح مستفيض بلا انتهاء ..... ابتسامة مسرفة منذ عهد الطفولة..... أخيراً استجابت .....تذرعت كثيراً قبل أن تستجيب .

أنا عضوةُ في لجنة تستلزم بقائي ..... أنا ما أخبرت مديري ..... أنا ما جئت لأقضي هذا الحديث معك ..... بل أن سيدة ..... أستأذنتي أن أقضي لها حاجة..... وأنت أتيت هكذا ..... فلا حاجة السيدة أنقضت ولا أنت ستنفض .
في المكان الجديد .....
وكان ممراً أيضاً .....ولكنه مقفراً تماماً زاغت عنه الأبصار.....وهجرته الرحى .....سألها
- في أي قاعة من هؤلاء كنت تدرسين ؟ تبسمت
- أصبحنا قدماء على الدرس والقاعات .....تاهت ذاكرتي في تشابه القاعات وتشابه الوجوه .
فأخبرتها وبدون تردد أنك تحفظ قاعتها مقعدها في الدرس بل أنت تحفظ حتى لون معطفها .....لا أنت تحفظ أزرار قميصها ..... كتل

الورد اللاهبة على مشارف عينيها .....ترنيمة اللون التي تحرص دائماً على أن تجمع بين تسريحة شعرها المرصع بسيل من النظار ولون معطفها الذي يشتهيه البرد وحلية عينيها . وددت لو أنها تستغرق في الحديث معك .....تسألك وتجيب.....تنفر.....تستنكر .....تؤيد .....وهذه السيدة الثالثة كنت تحسب أنها ستدعكما بمجرد أن تغادرا مكانكما الأول .....ولكنها لبثت حيث لبثتم ..... كانت شاخصة تصغي وعيناها تتحدثان .....تشكان فيكما معاً..... أن هناك حكاية .....وأن بدوتما .....متحللين وأن تظاهرتما بالأمان .....فالذي يبدو واضحاً أن السيدة معجبة ..... بل مغرمة حتى .....هكذا كانت عيناها تقولان وإلا ما الذي

يجعلها .....ترد على
سخريتك
منها .....بابتسامة
مدللة .....أو نظرة
مقتضبة .....تنطوي على
أسرار الود .....كانت تقف
بينكما.....لتلمس في جملك
الطويلة ..... التي لا تسفر
عن شيء ألا عن استغراق وقتا
أطول.....مجرد
وقت .....وأنت تلح في أن
لا ينتهي
حديثك..... حتى.....لا
يحتلها اليأس أو جدوى البقاء
فتطلب أن
تنفض..... ومع ذلك
فالأحاديث لا بد لها أن
تنتهي .....ولا بد لك أن
تخلي سبيل هذه
العيون .....كنت في تلك
اللحظة تتمنى لو تستجمع
أحاديث الشعر ..... زمن
الأساطير ..... الخرافا
ت ..... السحر .....مجر

د أن تطيـــــــــــــــــــــــــــــــل
الأحاديـــث ..... مجـرد أن تـذر سببـاً
لأن يـــــتراكم فيـــــك شـــــيء
منهـــا .....تـــذرعت بـالمكـــان
بـالالـتزام ..... بـدأت تسحب
أحاديـثها .....فخطاها رغماً
عنك ..... قبل أن تلج بـابـا
مزجـا سـألـتها وقـد أذنـت
الـنهايـة و الـمرأة الـثالـثة
شاخصة ..... أسألكِ من كان
يـزعجكِ؟ .....من كان يـلبد
صحوك الـمخضز ..... من كان
يـتعقبـك ؟ ..... مـن كـان
بـاختصار يـزداد تـعلقاً بك كـلما
رأى أزديـاد ضجرك منه ؟
أجابت وبلا تـردد ووسط ضحكة
مـنتشـــــــــــــــــــــــــــــية
أنتَ ..... أنتَ .....أنـ
ت .
ســــــــــــمعها حـــــــــــراس
الـبـــــاب ..... الـمـــــرأة
الـثالـثـــــة ..... ممـــــرات
الـصـــــبح ..... الـقاعـــــات

الدافئة..... الستائر
القاتمة ..... أساطيل
الكتب ..... المقاعد
الأنيقة..... اللوحات .....
..قاعة
المناقشات ..... والأهم من
ذلك كله سمعتها أنت.
يا سيدة القمر ..... أنا
متيقن أن ليس ثمة امرأة من كل
مليون امرأة قد تفلت
مني..... ساقني قدري
واستوقفني دهري ..... حيث
ترجمني عيناك..... تسوقاني
إلى مقصلتي ..... وتزعمين
اليأس مني .....وتزعمين
الضجر ..... أقسم أن كل
نساء الأرض أناخت أنوثتها تحت
أقدامي ..... أسبلت لي
مقوددها
وعصيانها..... واسترحمتني
أن أفك فيها
سحري .....وأن أمهد فيها
نهايتي..... ولكني
أبيت ..... أبيت..... أضيع

بسحر البدايات تستهويني سيدة متصوفة .....وتذيب دفاعاتي كلها شقراء متحدية .....فاقبل بلا تردد واستعد لتحد طارئ يقيل هزيمتي المبررة أو يضرج صفحة أخرى منك بكلماتي .

أتعرفين ..... كم مرة كتبت شعراً فيك .....كانت أحرفك تتقاطر على ألسنتي.....تجبرني أن أصوغها .....شعراً .... ما من مرة التقت فيها عيناك بحقيقتي ألا وبدأت حروفك تنسل إلى ورقي تصطف .....يطوح بها الخيال وتستكثرها الروايات فتخدش كسلي وامتناعي .....تأمرني :

- أكتب للشقراء .....للشقراء وحدها ..... الليلة ستجيئك الشياطين تقرأك مساً من جنونها تراتيل من عبثها ..... فأصغ

وتذكر .....ما جدوى ورقاً تتلفه الحروف .....ويلفه وجع مستديم إذا لم يكن سيؤول إليها .....إذا لم تدبك فوقه شفتاها بتنزه مر .....حتى تدرك حقيقتي .....ما حقيقتي ؟ .

إذاً نحرتك واستقبلت اللجنة .....غاصت خلف أقبية موصدة .....ممنوع..... أن تطأ اللجنة ممنوع أن تتنصت أخبار اللجنة .....أسماء اللجنة.....ممنوع.....ممنوع ألا تفقه ..... أنت تهدد مجد اللجنة .....هذا المنع مستحكم وليس لك ألا الخضوع .....تعال غداً .....قبل أن تقفل اللجنة أبوابها .....قبل أن يتداعى لها السادة والعبيد .....الأميرات ووصيفاتهن.....تعال كن أول من يجئ يمكن أن تستأثر

بنصيب أوفر من غزل سيغدقه
عليك صبح لئيم يحاول مثلك أن
يسلبها صبحها .....ألا تدرك
أن الصبح الذي لا يشرق بعينين
مثل عينيها لا ينعت
صبحاً ..... تعال
غداً ..... استأجر شقة
قريبة .....أو نم
هنا .....اتكأ على مسلة
الفجر الأول حتى تصطحبك الآلهة
تدلك على هديها على اتقاء شر
الزاحفين
إليها.....نم.....أينما
.....تنم..... اقضي وقتك
كيفما
تشاء..... المهم..... أنك
ستكون أول
الوافدين .....فلا
تتباهى ..... وتعمد أن تنحر
شيئاً في أذن
الفجر .....أنحر
ماضيك ..... أنحر نساءك
اللواتي ما فتين يثأرن
منك ..... أنحر كتبك التي

تتشرد معك .....وتصرع وقتك .....لا تعبأ.....فلن يستغربوا ..... يقولون أنك أضعتها دهراً .....ووجدتها .....فليس لك أن تفرط .....أن تضن بصبح يتيم تنتظرها فيه أو يوم بأكمله .....و الحقيقة أنك لن تضن بعمرك كله .....لا تستغرب سيقولون إنك مجد و أنك تكتب بحثا يجعل السماء تمطر زهرا و الريح تنشر لحنا و أن هذا ديدن من يأتون لهذا المكان مبكرين .

و لكن ماذا .....لو لم تأت .....صدرها المكتنز يدل على ترف أميري و ثراء متعاقب..... ماذا لو استأذنت أو كان تقسيم العمل .....يبيح لها أن لا تأتي ألا يوما واحد في الأسبوع .....ماذا لو أنقضت الصباحات و عدت كما أنت .....تفتقد سحر امرأة انضويت من زمن بعيد تحت وقوع

حرابها مستسلما ذاعنا بعدما أدعيت بطولات معتقة و مجد مؤبد .
ماذا لو لم يسفر الليل الذي أنت فيه عن النهايات .....ماذا لو كانت مثل أي امرأة أخرى .....
غير مختلفة لا ترغب أن تموت حيث أبتكرت و اكتفيت .....يا سيدة القمر ضاع صبحي كله و أنا محض انتظار محض ربيع زائف ينسل إليه الصيف .....ربيعك أنت و صيفي.....بل و خريفي فيستحيلان معا .....

.....

الـسيـدة الـرابـعـة :

شـــــــــــــومـا

شوما ..... ليس مثل بقية النساء ..... ترفض السحر و الدلال ..... مجرد امرأة واقعية..... مجرد حلم .... شوما .... موظفة في مكتب للاستنساخ .....طالبة للدراسات العليا في كلية اللغات ..... محامية تمتهن القانون ..... طبيبة تدير مختبر للأجنة..... امرأة تشاطرك نصف طريق طويل .....سيدة تعرض عليك الحب .....تحلم بك زوجا مثاليا ..... أنيقا ....روما نسيا ..... متقلبا..... له عينان خارقتان و قلب فضفاض....ليس لها أن تكمل كل

الرحلة ....او تتركك في منتصفها .....بل ستتركها أنت في المنتصف و مثلما بدأت ..... أخذتَ زمام ألأمر كله ..... أحببتَ و كتبت و توعدتَ .....و سحرتَ ....أنت سترسم النهاية و أنت ستضع الخاتمة .....

كم صبح فيه كنت تنتظر شوما .....و لعل شوما كانت تنتظرك ..... أشك في أن امرأة من كل هؤلاء النساء كانت يوما تنتظرك ..... أنت تزعم أنهن ينتظرن .....و لكنه زعم سرعان ما يتبدد ....لآن شوما ما كان لها أبدا أن تنتظر .

ـ أنا مخطوبة ..... هذا الذي رأيته قبل أيام كان خطيبي ..... اصغر منك .....أجمل منك ....قال لي انه سيحملني إلى أخر الأرض قال لي أنه سيطوف بي كل محطات الدنيا سيبتاع لي قمرا و زهرا و نضار .....قبِل بشروطي

كلها ما اشترطت عليه من شرط ألا وكان يقول لي ....
حتى لو لم تشترطيه .....كنت سأضمن حسن تنفيذه .
و الأهم من ذلك كله ..... أنه أصغر منك ..... أنت عجوز .....لفظتك ألألاعيب خارج حبالها ..... أتحداك أن كنت تستطيع أن تبرز بطاقتك .....هيا أبرز لي بطاقتك الشخصية .... أنا لا أعرف عمرك بالتحديد .....ألهاني صمتك المبعثر .....و ظللني أمسك المتدفق .....من أن أسأل عنه ..... إسمح لي أن أقرأها بنفسي .....ما تاه عني يوم شيء كما يتيه عني في كل تأريخي معك ..... عمرك ..... أحيانا أراك طفوليا شارد اللب.....منتزع الرغبات .....فيعصفني حنيني

كامرأة .....أن أستثمر أمومتي نحوك بلا هوادة ..... أنت طفلي ..... أحيانا ..... أشعر أن كل ما فيك يشبه أبا لم أرتزق منه حنانا .... أتراك هو .....؟؟

ـ هيا أين بطاقتكَ الشخصية ..؟

بصمت .....و بدون أن يتوقع سؤالا مثل هذا ..... ناولها البطاقة .....كانت ماثلة للعيان .....متجددة أجمل ما فيها ..... صورته التي ملئت نصفها .....و لكنها بلا حزم ..... كان مبتسما و دودا طرز أسمه على مقربة من أفق عينيه حتى لكأن العينين قد و ضعتاه وليدا .

هي وصديقة لها ..... دققن بلا رفق في بطاقته .....

ألاسم : بلال

ألقب : المفتون

ـــــــــ اسمك بلال المفتون ..... أنت من أسرة المفتون أذن .....قالتها

بنبرة الدهشة و الرضا و الكراهية .....
ـ موالـيدك ..؟
ـ 1968 .
أذن سنك الحقيقي هو 35 . هذا ما كنت أحسبه ..... أنت عجوز ..... كف عني.... أنا سأتزوج ..... أرجوك أن تبحث عن سيدة أخرى .....أو أرجو أن تكف..... لقد خسرت كما خسر قبلك أناس عاصروك ..... أناس كانوا يبحثون مثلك عني ..... يدعون أنهم يتصفحون الكتب .....و ما يتصفحون ألا عينيّ .....و يدعون أنهم ينقلون وثائق عن بحث و ما ينقلون ألا شعر لأنفي ..... أنا ما كنت أدخل أي قاعة في المكتبة ألا و تتغير المقاعد و تمتلئ بوجوه جديدة ..... كانت تنتظر أين أجلس لكي تقابلني الجلسة أو تشاركني الطاولة ..... أنت مثلهم ..... أنت مثلهم... لا

فرق بينك و بين غيرك كل ما في الأمر أنك كنت لحوحا .....تمضي كل وقتك تبحث عني .... تسأل السكرتيرات في القسم ....بدون حياء منك .....تسأل الطلاب في القاعة .....تذرع الممرات .... تقتنص فسحة بين زهر الحدائق.....تترصدني.... أعلم .....انك كنت هناك ....ولكن ما ذنبي أنا .... أنت اخترت .... اخترت أن تبذل جهدك و تضيع وقتك و لم تنل من ذلك كله شيئا يذكر......... ومع ذلك .... اخترت أن تستمر .....و أن تديم ضياع الوقت و أن تديم ضياع الجهد .... أتذكر .... مرة جلست صباحا بأسره ..... تدقق فستاني ....كان أبيض مسترسلا بنقاط دمويه كما أحمر الشفاه .... أتذكر ....كنت قبل أن استقبل أي كتاب أعمده

بمنديل ورقي داكن كي لا يتلف أصابعي .....و أظنك انتبهت فأخذت تحاكي ذلك مني بسخرية مفرطة .

أتذكر كنت أذا حانت الثانية عشرة و النصف ظهرا تداعت مملكتي بين يديك و تركت أوراقي و هجرت مقاعدي و غادرت بصمت لئيم كي لا تدركني ..... لكنك أتقنت اللعبة فما أن تدق الساعة أوتارها حتي أجدك أمامي تنتظر كأن الموعد لك .....آه ....كم كنت لحوحا ....تتبعني بدون انتهاء .... ما أن تطأ قدماي بوابة المجمع حتى أدرك أن عينين تترصدا ني .....تفرطان النظر ألي ..... عينان في الظل تتحركان حيثما أتجه.... تتوقعان مسيري و سبيلي المتخذ .....فتتسارعان بالنظر إليه .....و لكن في

الظل أيضا ..... عينان ليستا ككل العيون دفء خارق و حنان متقد ....عينان تحفظان..... تضمران..... سنواتي أشهري أيامي .....حتى ساعاتي و دقائقي..... تأريخي كله.....تصحباني .....و لكن بتأخر قليل إلى القسم ..... استفسر عن أستاذي و هما يسألان عني .....سكرتيرة القسم .....مقرر القسم .... منظفة الممر ..... عاملة القهوة.... الجدران ..... الأبواب..... مقاعد الدرس . هنا كانت شوما تجلس .....هنا كانت شوما تقف .....هنا على مصطبة منفردة..... تستأثر فيها و أن جلست معها ألاف النساء .....لم تكن شوما تحسن الجلوس و المسير .....بل كان كل شيء فيها مستحسنا .....لم يكن مستحسنا حسب.... كان

مميزا ..... هذا الأحمر القاني الذي كان يصارع أمواج الشفاه ..... هذا الليل الداكن الذي يحتضن فجر عيونها المستفيضة .... أتعرف من أدخلني في هذا كله..... من أقحمها عنوة في أتون مداراتي .....من جعلها تتخطى كل المجالات..... من جعل الصمت المستحكم بيننا هشا .....فعدما ..... أتعرف من ساق ذلك كله إلى مقصلة الكلمات من استدرج تأريخي من وحي سمراء معتقه إلى شقراء يسترسل شعرها المتلون إلي قمة أكتافها .....و يقودك أنفها الأنيق إلى سلالة من الزهر المتمرد شدتها إلى بعضها برباط مثلها تماما .....و أنبرى أنفها ليعلن رغما عنك .....أنها أجمل امرأة في تأريخك كله .

* * * * *

شـــــوما اليـــــوم ســـــتنهي رحلتهـــــــــــــــــا ..... فأنتظرهـــــا .....تقـــــدمت وصيفتها .....ثم دلفت .....في قاعـــــة القصـــــر المعمـــــد بالضياء .....موظفات بلباس ملكـي ..... هنـاك سـتنحتك الفرشـاة..... صـنما أخـر أو ظلا .....شوما تدخل قصرا أخر لا زلـت تتبعهـا ..... هنـاك استوقفتك ...

ـ ما الذي تبغيه مني ؟

بين صخب الفرسان أستدرج شوما إلى السلم الإمبراطوري ود لو صافحته أناملها ...

ـ شوما ....البارحة كتبت شعرا ملكيـــــا ..... شـــــعرا فردوســـــيا ....أود لـــــو تسمعينه ....!

صمتت .... كان صمتا سحريا يوحي بأن هات قصيدتك ..... فمضى .....يسرد شعراً....فمه و أذنهـــــا ..... أذنهـــــا

البيضـــــــاء .....سحب
مزدحمـــــــة ..... شـــــتاء
هائج.....تصغي .....
وهو يتلو .....
ـ أكتب شعرا للأميرة .....
ـــــــــ ذات الشـــــــفاه
المستديرة .....
ـ أكتب شعري وجلا .....
ـــــ كـــي لا أبـــدد فرصـــتي
الأخيرة ....
أصـــــــــــــــــــــــــــاخت
سمعا .....سجدت .....قالت
ـــــ لا .....لســـت فرصـــتك
الأخيرة ..... ستمضي في صحراء
نساء ..... و تبيض أشعارا و
أسفارا و كلاما ....و تمتهن
الصمت ..... حتى يأتيك الفجر
فتنسى ..... أو يدركك الصبح
فلا تستفيق .....!!!
-شوما الا يسمح لك سلمك هذا أن
تتريثي كي أكتب شعراً للحظة
الصمت التي جمعت بوحي و
خطيئتي و سكوتك ألا يأذن لك
القصر بأن تمضي معي وقت

أطـول..... كـي أبـتكـر لـحنـا
أخر ..... لـحنـا لا يـدركـه إلا
أنـت .....

النهايات

مآل... ....أفنت رقمها في
المعبد .....ابتاعت
رقما جديدا في المعابد

المجاورة و أنكفأت لا تكلم أحدا ..... انحدرت صوب سلالتها الأولى ..... المقبرة الشرقية لقصر كوديا .....بعد أسبوع من رحيلها تلقيت منها رسالة تؤكد حبها لي ..... المرة الأولى التي تجزم دون تحفظ .....أنها تحبني .....كررت كلمة أحبك ست مرات..... ثم أعقبتها بقسم إلهي أنني أعز من حياتها .....ثم جزأت كلمة أحبك إلى حروفها الأصلية ووضعتها بين قوسين كبار [أ,ح,ب,ك] ....وبعد أسبوع أخر..... تلقيت رسالةً ثانية تقول أنها بحاجة ماسة لي .....لكنني كنت أقرأ رسائلها تلك وأتوارى وأنطوي وأدعها حيث هي .....حتى لا تشعر أنني قرأتها.....كنت مصمماً على محو مآل من عقيدتي .....منع مخالبها من أن تعتصرني ..... هما وحزناً

لا منتهي .....كنت مصمماً بلا رجعة ولا مبادلة.....كنت أخشى جازماً أن اللحظة التي أسمح فيها لمآل أن تعتقد أني قرأت رسائلها .....هي ساعة نهايتي ولذلك أبتعدت .....كان بعدي عنها أصولياً متحجراً لا تفك رموزه .....ولكن السؤال الذي بقي يحيرني .....هل كانت مآل تحبني ؟..... هل أحبتني يوما ؟..... هل تبطرت على حقيقة حبي لها وأدركت استسلامي ؟ فنحتني بفروسية فجة نحو مجدي .....حتى أطاحت بي وأحاطتني.....
.....
.....لو ظلت مآل في مكانها الأول .....لو لم تستبدل رقمها .....لعدت ألف مرة لها..... ولكنها أيقنت حقيقتي .....فاستأصلتني .
شوما .....تزوجت بعد أن أطلعتني على خاتم ممشوق لف

أناملها برفق فكتبت على محفظتها قصيدة مطلعها

أنامل من فضة

لبست أسوارا من ذهب
تزوجت من ذاك الأنيق الذي
قارنتني به
فقرنني ..... أخر مرة
شاهدتهما معاً كان يفصل بيننا
حائط مزجج ..... الشمس أظهرت
ملامحها وظلهما وغلبت العتمة
على أمري ..... كانت شوما
تحتسي نصف قنينة البيبسي
وتناولها له كي يحتسي نصفها
الأخر ..... وهي تعلم أني
أرقب كل شيء فيها .....ولا
أصدقه ..... حاولت بحركاتها
تلك أن تمنع عني ظني بحبها
لي ..... لكنها
أخطأت .....شوما منحتني كل
ما تمنحه أي امرأة لرجل ترغب
أن تؤوي إليه .....لكنني

تباطأت ثم رفضت..... فاتخذت
سعيها ..... في منتصف
الصيف الأول .....قررت أن
أزورها ..... أقنعت صديقاً
لي واستأجرت سيارة
خاصة ..... أمرت السيارة أن
تقلني وأوعزت للصديق أن يتطلع
المدينة قبل أن
ألج ..... لكن شوما لم
تكن في هذا
المبنى .....فأمرته أن
يستدير صوب مكانها
الجديد ..... وما أن
وصلنا ..... حتى أدركت إن لا
فائدة ترجى .....شوما خارج
المدارات خلف قبضة
الأصابع ..... ما الذي بقي
منها ..... طولها
الفارع ..... ملابسها
المنتقاة .....كل هذا بلا
سطوة لمشاعرها بلا فرح يأخذني
إلى حيث أستوطن
وحدي ..... هناك
زوجها .....نفذ إلى كل

مشاربها لم يبق أي شيء منها لي .....فامتنعتُ وأذعنتُ .
أما سيدة القمر .....فبقيت كما هي رافضة .....رفضت أن تعطيني رقم هاتفها.....رفضت أن يحيى بيننا شيء جديد .....رفضت حتى أن أجلس قربها.....لا شيء يوحي بأننا معاً قطعنا شيء ما ..... منتصف المسافة.....ربعها..... عشرها .....أي جزء منها .....كل ما عدتُ لها..... أستوقفتني ..... لتفهمني أن الذي أجرته معي .....تجريه مع آلاف غيري وأن لا مزية لي على كل هؤلاء فالذي كان بيننا حديثاً حديث .....لا أصول له ولا فروع .....لا تاريخ نبني عليه مجدنا ولا مستقبل سيجمعنا .....كل الذي

بيننا رهن لحظة متوقفة فإن انتهت فسينتهي .
يا سيدة القمر .....جزعت دوري معكِ ..... جزعت أن أقف في المنتصف..... أشعر أنكِ تستدعيني وتستغنين ..... وأنا حيث أنا ..... أقر..... أنكِ نجمة القمر الأوحد .....أقر أنني استجمعت فيكِ كل نسائي ..... وأقر أنني ابتدأتُ معكِ من فجر السلالات ..... ربما رفضك المتكرر جعلني أستمر .....ربما ابتسامتكِ التي تجتاح وجهك من أسفل نقطة فيه ..... ربما صوتك الذي ينساب ليقر في داخلي وجعي .....ربما كل ذلك معاً جعلني أبداً ولكن المشكلة بعد ذلك .....هل نعود إلى أول نقطة كنا فيها .....بالتحديد قبل ستة أعوام ..... قبل ستة

آلاف سنة .....أن كان ذلك
سيجعلني أبدأ مثل كل
مرة .....فأنا
مستعد.....وليكن كل الذي
بيننا .....محض
انتهاء .....ولنبدأ في كل
مرة من
جديد..... أتردد .....
.تمتنعين .....أقدمُ .....
.....تنصتين بشك مزدوج من
الدلال والسخرية ثم
تنغمسين ..... وما تبرحين
ما أنت فيه حتى يأتي الزمان
على كل الذي بيننا فيحيله
مثلما بدأ محض انتهاء .
في ساعة متأخرة من
أربعاء أخير .....ماتت
أرغيدا .....استدعتني
ألإلهة ..... لا تقطع
سفراً ..... لا تمضي
وقتاً .....استعجل .....
سترحل أرغيدا ..... فلا
تهنئ بعدها بعينين دافئتين ولا
تنم حيث تستقر

ابتسامتها .....سيمنعك
الليل والصبح معاً .....من
أن تجئ .
اتصلتُ .
وفاء .....ما الذي يحدث
؟
أرغيدا .....
تحتضر .....أرغيدا تموت !
استدعتني الآلهة مرة
أخرى ..... قف حيث
أنت .....ليس لبشر في الأرض أن
يتمرد أو يتجرد ..... حتى
أرغيدا .....حتى
أرغيدا .....فهرعت .....
.من قبو المنزل .....من جوف
البؤس الذي استغرقني ليلاً
كامل .....استوقفني ....حرس
أخر لا تعبأ
بالحراس .....بحراب الملأ
الموصوف على أسيجة
المعبد .....أدخل مثلما
كنت دائماً تجئ ..... من
البوابة
الخلفية ..... البوابة التي

تقودك إلى نافذتها الزرقاء .....عينيها الصافيتين وابتسامتها المتقدة ..... لكنه صبحاً أخر .....لا عينين .....لا نافذة .....تتكشف ستائرها عن وحي امرأة تجلس من أربعين سنة ..... سكن الممر ..... سكن الممر .....كان صوتها خافتاً يعلن الحداد وقد سُجيت على مقربة من نافذة زرقاء استباحها صبحاً خجول ولبدها غمام معتم .....ما أن تحسسن وصيفاتها وقع أقدامي حتى هرعن مغادرات .....مطاطات الرؤوس بعيون دامية ينثن دمعاً كئيب ..... حتى وفاء .....لم يبق .....ألا عينيها وأنا.

كنت نجمة الصبح الأوحد ؟

- بلال اقترب !

- اقتربت .
- اقـــــــــــــــــــــــترب أكـــــــثر ..... هـــــــات يـدك .....أدنـو .....ك ل مـــــا كنـــــت أرغـــــب فيـــه ..... دعـني أمـوت معك .....على مقربة من وهـــــــــج عينيـــــــــــك الســـاحرتين.....أفضـــني سراً ..... أفضني حباً يعلق فـــــي أذانـــــي حـــــتى الفجر .....بل حتى القبر .
- أرغيدا ..... إلى من سآوي .....إلى من ستؤول الفصـول .....مـن سـيمكث فيّ..... كيف أبحرت وأنا قيـــــــد أنتظـــــــارك هاهنا .....ألان سلبت بغداد مني ..... لازمن في بغداد سيخفق لي .....ولا سيدة تبدأ معي بلا نهاية .

انتهـــــــــــــــــــت
20 / 8 / 2008

د . محمد ثـــامر
مدينة القمر

المحتويات

السيدة الاولى ارغيدا 4

السيدة الثانية مأل 30

السيدة الثالثة سيدة القمر 73

السيدة الرابعة شوما 89

النهايات 99

سيدة القمر

سيدة القمر حكاية النساء والمدن ، النساء المهاجرات والمدن الباقية، ربما لن تبقى امرأة ربما ترحل كل النساء هكذا دفعة واحدة.... ولكن المدن قديمة والنساء متجددات .